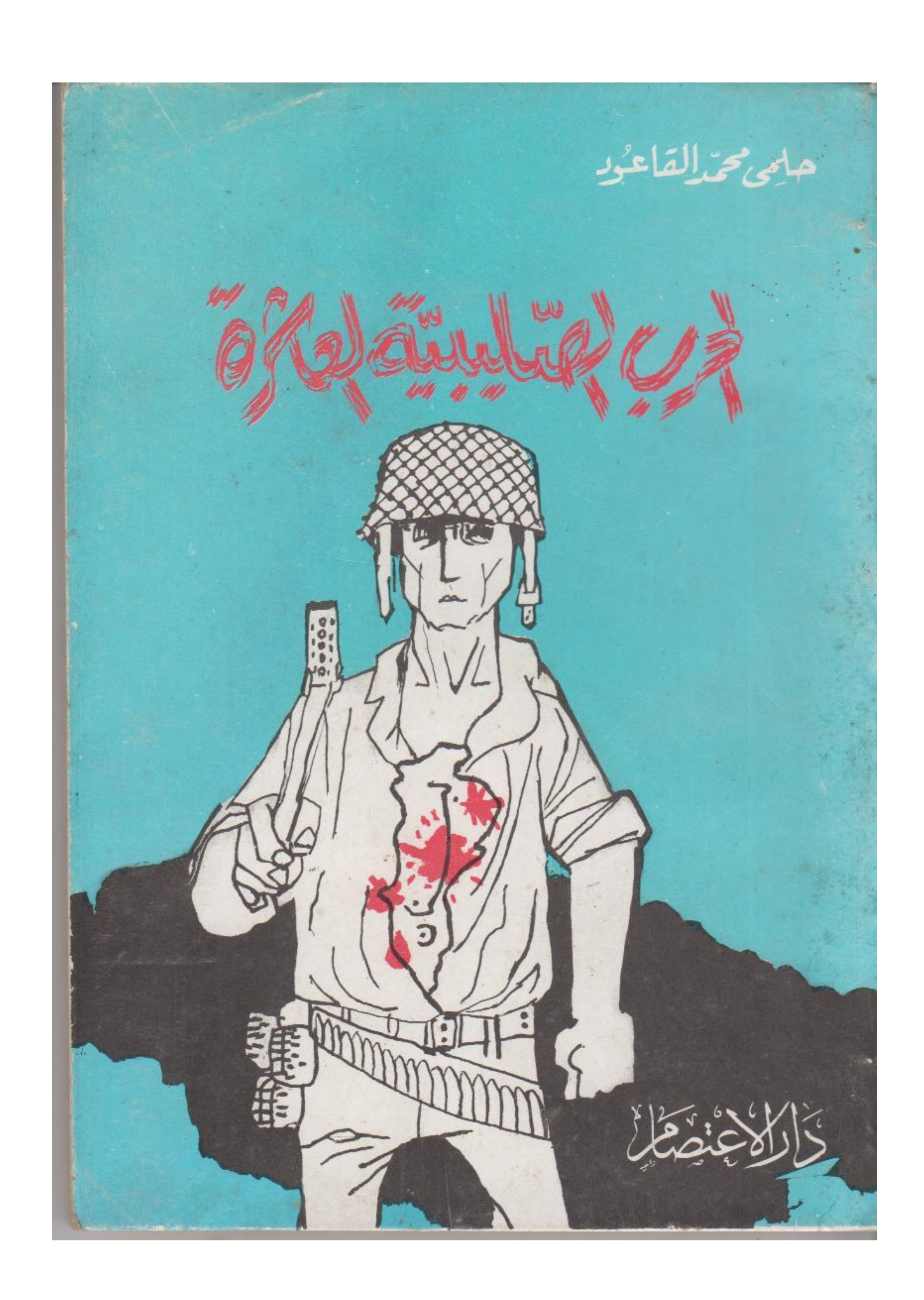

حلمي محمد القاعود
الحرب الصليبية العاشرة
دار الاعتصام

حلمي محمد القاعود

الحرب الصليبية العاشرة

دار الاعتصام

الإهـداء

.. إلى شهداء تل الزعتر.. فقد أصبح الجرح وردة !!

(حلمي)

الحرب الصليبية العاشرة

هى حرب !

وهى صليبية !

وهى عاشرة !

.. كيف ؟

أما أنها حرب .. فقد سمع بها القاصى والدانى ، وأغرقت دماؤها العالم كله .. فلم تبق فيه نقطة خالية من رائحة الدم الذى سال على أرض لبنان ، تسأل أهلها : لقد سقطت هدراً وبلا ثمن ، أمام خوارج هذا العصر من المارونى وحلفهم الجهنمى ، فماذا أنتم فاعلون ؟

وهى حرب شاب لهولها الأطفال حين كشرت عن أنيابها .. وأحرقت بجحيمها كل الأيدى الخفية والعلنية التى شاركت فيها .. ولفحت كل الوجوه التى تفرجت عليها ؛ عدا إسرائيل !

وهى حرب دمرت دولة بأكملها ، وقدمت أكثر من خمسين ألفا من القتلى إلى العالم الآخر ، وثلاثمائة ألف جريح ، وهم ألوف لم يخسر العرب مجتمعين نصفهم فى حروبهم الأربع مع إسرائيل !

وهى حرب جعلت من وطن كان يوصف بالديمقراطية ، وواحة الأمن ، ونمط الحياة الفذ فى الشرق .. بقايا أطلال وخرائب وأنقاض .. بعد ثمانية عشر شهراً من بدايتها !

أما كونها صليبية .. فقد أضحت واضحة للعيان صليبية من أشعلوها ويستمرون فى إشعالها .. سلوكهم صليبى ، تفكيرهم صليبى ، حلمهم صليبى ! كل ما فيهم يفيض صليبية وتعصباً وحقداً (انظر كلامهم فى المقال الثانى) ، وتجاوزوا كل القيم والأخلاقيات التى تربوا فى ظلالها ، وتحت رداء السماحة الإسلامية .. وبمجرد أن أتيحت لهم فرصة الانقضاض والقوة .. أسفروا عن وجوههم الكالحة ، وباطنهم العفن ! إننا ندين أولئك الأوغاد الذين تخلوا عن محبة المسيح وتعاليمه ، وأجهزوا على إخوانهم « الأرثوذكس » الطيبين فى « أميون » وغيرها لمجرد تعاطفهم مع الحق الإسلامى والأخوة الإسلامية .. إننا نحيى سكان « أميون » الذين هجروها ، وقتلاها الذين سقطوا بأيدى المارون المتعصبين ، ونستنكر ذلك الصمت المريب من القيادات الدينية المسيحية الدولية على إجرام الأوغاد !

أما لماذا هى حرب صليبية (عاشرة) ؛ فلأننا نأخذ بما ذهب إليه الأستاذ « أحمد بهاء الدين » (العربى – العدد ٢١٣ – أغسطس ١٩٧٦) من تعديده لمرات هذه الحرب ، ومحاولته إضافة حربين أخريين زيادة عن الحروب الثمانية التى أوردها المؤرخون القدامى . بيد أننا لا نذهب معه فيما حاوله من إفراغ هذه الهجمات الوحشية الصليبية من مضمونها

الدينى ، والتركيز على الجانب السياسى والاقتصادى .. فتاريخهم الأسود حين يدرس بإنصاف .. سوف يؤكد حقيقة الباعث الدينى — المخالف لتعاليم المسيح — فى توجههم نحو الأرض الإسلامية وقهرها، ولعل فى إرسال طلائعهم من المبشرين والمستشرقين ، قبل حملاتهم العسكرية .. ما يؤكد حقيقة التعصب الدينى البغيض الذى أذكاه الرهبان والقساوسة فى نفوس محاربيهم الصليبيين .

ولعل ما طفحت به أقوالهم خلال هذه الحرب العاشرة ، وسلوك « الأباتى شربيل القس » الذى درب سبعة آلاف راهب على القتال ، واتصل بإسرائيل ، واستنجد بسلاحها وذخيرتها وخبرتها .. أفضل دليل على العفن المعشش فى أدمغة الصليبيين الجدد .. وتحركهم بالوازع الدينى الخطأ ، قبل أى وازع آخر .

أما تحالف السوريين البعثيين مع هؤلاء الصليبيين ، فهو أمر مثير للغرابة حقاً ، وإن كنا نعتقد أن السوريين خدعوا بتأثير الذكاء المارونى ، والغرور البعثى !

والذى يهمنا الآن .. هو أن نقدم هذه الصفحات اللاهثة .. لتلقى ضوءاً — ولو من بعيد — على تلك الحرب الإجرامية التى شنها الموارنة ، ونفخوا فى نارها ، ليحققوا أهدافاً شعوبية حقيرة ، تتنافى مع كل ما هو إنسانى وخير وجميل !

لقد حاولنا أن نتتبع الأسباب المباشرة ، واتجاه الأحداث فى

هذه الحرب .. ولكن القسوة الضارية التي تجرى بها الحوادث ، تضعنا دوماً أمام عامل المفاجأة غير المتوقعة وغير المنتظرة .. ورغم أى شيء .. فسيبقى أمامنا فى وضوح ، ذلك السبب الأساسى الذى يقضى على فرص السلام والهدوء وهو : الحقد الصليبى البغيض !

ولا خيار أمامنا .. إلا الاعتراف بالواقع المرير والقبيح ، ومحاولة فهم أنفسنا بصدق وموضوعية .. لتلافى أسباب الهزائم والمصائب والمحن ، التى تحل بنا دون سوانا .

وإن كنت أرى فى الواقع ، أن مصر المسلمة .. هى صمام الأمان الذى يحمى كل الشرق ، والعالم الإسلامى ، من أمثال هذه الانقضاضات والغارات المفاجئة ، التى يشنها الحاقدون من الشعوبيين والموتورين .. فمصر هى أم الحضارة ، وهى عقل الإسلام ، وهى ذراعه المتين .. فلنتعاون جميعاً من أجل بناء مصر .. ديناً وحضارة وقوة .. وعندما يتم البناء ، سنتخلص من شراسة اليهود ، وحقد الصليبيين ، وثرثرة الغوغاء والمأجورين ، بإذن الله .

والله تعالى ولى التوفيق .

المقال الأول

محنة الوجود الإسلامى فى لبنان

على الرغم من صدور قرارات وقف إطلاق النار التى تعهدت كل الأطراف المعنية باحترامها ، ما زال التراشق الإعلامى قائماً بين القوى المتصارعة داخل لبنان وخارجه ، وما زال التشاؤم يملأ الآفاق لعجز الوسطاء عن الوصول إلى تسوية نهائية تحقق الحفاظ على لبنان العربى لحماً ودماً ، بدلا من الاختيار المرفوض والقبيح ، وهو لبنان المقسم أو « إسرائيل » الثانية . فإذا كانت إسرائيل الأولى « يهودية » ، فإسرائيل الثانية « مسيحية » متعصبة ، وبعد ذلك إسرائيلات أخريات حسب الأديان والمذاهب ، والتكتلات القائمة فى لبنان وجوار لبنان !

وماذا بعد ؟

إن الإجابة على هذا السؤال المؤلم والمحير واللغز ، لابد أن تثير فينا إحساساً بالاشمئزاز و « القرف » تجاه ما يجرى وما يحدث ، لأن سمة التشاؤم التى تغطى الساحة لا تترك أى انطباع بالأمل القريب أو حتى البعيد فى إيجاد تسوية نهائية كما قلت ، كما أن الوجود العربى الكبير حول لبنان ما زال عاجزاً عن التدخل الإيجابى لإنقاذ الفئة الضعيفة فى الصراع — أعنى المسلمين ، وخاصة مسلمى الجنوب —

واكتفى هذا الوجود المحيط بالهرطقات والحرب الكلامية وتبادل التهم بين بعضه والبعض . وأيضاً ، فإن الوجود الإسلامى الكبير ، ما زال بعيداً للغاية عما يجرى ، وكأن ما يحدث لا يصل إلى سمعه أو عيونه ، وبذلك يسجل على نفسه مأخذاً من أقسى المآخذ فى القرن العشرين ، حيث تخاذل فى المرة الأولى حين ضاعت «فلسطين» ، وها هو ذا يصم أذنيه ويغلق عينيه عما يضيع الآن ؛ أعنى : لبنان المحترق أو فلسطين الثانية .

إن الوجود الإسلامى على امتداد أرض الله ، قادر بإمكانياته السياسية والاقتصادية — والعسكرية إن لزم الأمر — أن يفتح باباً للخروج من هذه المحنة الجارحة والمميتة ، ليتفرغ إلى معالجة الجرح القديم : فلسطين .

ولكن ..

من المؤسف أن الكثير فى العالم الإسلامى لا يعلمون بما يجرى على حقيقته ولا يفهمون ما يحدث فهماً سليما . وهذا قصور يضاف إلى نواحى القصور الذاتية والرئيسية التى تعترى هذا الكم الهائل والكبير المسمى بالوجود الإسلامى فى العصر الحديث .

إن الوجود الإسلامى المعاصر ، مازال يكتفى بالإنشائيات والكلمات النارية ثم يهمد بعد ذلك ، ويجتر ألواناً من الأسى ، وأنواعاً من الحزن لا حدود لها . إن هذا الوجود قد « طلق » فيما يبدو ، ما تعارف عليه المسلمون الأوائل ، وأقاموا به دينهم ودنياهم وهو « الجهاد » ، وإن

كان فى عصرنا هذا قد جاء بعض المفكرين والقادة الإسلاميين الذين يحثون على استعادة عنصر الجهاد ، والاستمرار فيه .. ولكن ما يجرى اليوم على الساحة الإسلامية يؤكد التقاعس والأنانية والاسترخاء ، رغم ما تملكه هذه الساحة من إمكانيات قد لاتتوافر لغيرها ، فقط ، ينقصها الجدية والتنظيم والإرادة الظافرة .

إن أحداً لا يستغرب فى العالم الإسلامى أن يسمع كل يوم عن خسائر ونكسات تقع داخل هذا العالم وتزرى به وبساكنيه ، لأنها أصبحت من المألوفات لكثرتها وتكرارها — بينما العالم غير الإسلامى لا تحدث فيه مثل تلك الأمور ، وإن حدثت فى مكان ما فإنها سرعان ما تنتهى ولو نسبياً ، بالقياس إلى ما يحدث فى عالم المسلمين . خذ مثلا مشكلة مثل مشكلة فيتنام أو كمبوديا أو حتى « بيافرا » . لقد ظلت إلى فترة ثم انتهت ، بينما نجد مشكلات تبدو وقد أصبحت شبه مستعصية الحل فى دنيا الإسلام المعاصرة : فلسطين — الساقية الحمراء — الفلبين . مسلمو روسيا والصين — مسلمو ألبانيا — ظفار — أريتريا .. وتأتى مشكلة لبنان لتنضم إلى طابور المشكلات الطويل ، والذى يعبر تلقائياً عن مدى الهوان الذى وصلت إليه الأمور بالنسبة للمسلمين الذين يعيشون عالم اليوم ، وكأنهم أصبحوا بشراً من الدرجة الثالثة أو الرابعة !

حقيقة المخطط الصليبى :

وينبغى أن نتعرف على حقيقة القوى المضادة التى تقود الصراع ضد المسلمين ، وتحول المشكلة اللبنانية إلى مشكلة طائفية تهدف بالدرجة

الأولى إلى تقسيم لبنان إلى دولة مسيحية تعيد أمجاد الصليبيين المهزومين فى العصر الوسيط ، ودويلات أخرى هزيلة على النحو التالى :

١ – دولة درزية ، وتشمل منطقة الصحراء وجبل الدروز .

٢ – دولة شيعية ، وتشمل قسماً من لبنان – أرتيز أشير – أى منطقة جبل عامل ونواحيها .

٣ – دولة مارونية للمسيحيين ، وتشمل جبل لبنان حتى الحدود الشمالية الحالية للبنان .

٤ – دولة كردية فى شمالى العراق .

٥ – دولة علوية ، وتضم اللاذقية فى سورية حتى الحدود التركية .

٦ – توزع الأراضى العربية بما فى ذلك المنطقة الصحراوية بين الدول الجديدة .

٧ – تبقى المناطق العربية التالية : دمشق – جنوب العراق – وسط العربية السعودية وجنوبها . ومن المرغوب فيه إنشاء ممرات غير عربية تشق طريقها عبر هذه المناطق العربية (راجع مجلة البلاغ الكويتية – العدد ٣٢٥ فى ٥ - ١٠ - ١٩٧٥) .

ورغم أن هذا المخطط الذى يشمل لبنان ويتجاوزه ليصل إلى سورية والعراق والأردن والسعودية ، يبدو خرافياً ، إلا أن سير الأحداث وتتابعها وعبرة الزمن الحاضر ، القريب والبعيد ، تؤكد أن ذلك الأمر

ليس بمستحيل ، وأن التعصب الأعمى الذى يدفع المخططين لهذا التخريب والتدمير والتمزيق ، هو نفس السبب الذى يجعلهم يقاتلون الأقباط الأرثوذكس فى لبنان ، ويتهمونهم بالكفر والمروق لوقوفهم الطبيعى ضد التعصب والتقسيم !

إلى الوراء قليلا :

وإذا أردنا أن نعرف حقيقة القوى التى تقود الصراع المضاد فى لبنان فإنه ينبغى علينا أن نشير إلى ما حدث فى العشرين سنة الأخيرة ، وكان فى مجال بعيد عن السياسة والعسكرية ، أعنى مجال الأدب والثقافة إذ برزت دعوة غريبة إلى احتضان الشعر الحر ، والكتابة بالحروف اللاتينية واستدعاء الروح الشعوبية والإقليمية ، واستخدام الرمز الفينيقى والتموزى والبابلى والفرعونى والسومرى والآشورى .. إلخ خلال الكتابات الأدبية فى الصحف والمجلات والكتب ، لدرجة أن شاعراً سورياً يدعى « على أحمد سعيد » ترك الدين الإسلامى ، وتنصر ، وغير اسمه إلى « أدونيس » . وقد ركز هذا الشاعر فى أشعاره على استخدام قصة « مهيار الديلمى » الشعوبى القديم ، ليخدم قضيته المعاصرة ، ويتحول إلى « مهيار » الدمشقى . وتزعم الشعوبيون دعوة أدبية أسموها « الرفض » ، وتقوم على رفض الحضارة العربية الإسلامية ، وكل ما يمت إليها بصلة ، والرمز إلى العرب والمسلمين بالرمل والغربان ..

نقول : إن هذه الدعوات ، قد أنتجت « غلمان أشأم .. » فى

الحرب الضارية التى يشترك فيها بعض الدعاة أنفسهم مثل الشاعر اللبنانى « سعيد عقل » — كما سيأتى ، وأصبح من حق الذين عارضوا هذه الدعوات فى حينه أن نرد إليهم اعتبارهم ، حيث اعتبرهم البعض فى مصر بقايا متخلفة ورجعية وضد التقدم ، أو على أفضل الأحوال وصفهم بالسلفية الجديدة !

ما هى القوى المضادة ؟

إن القوى التى تقود الصراع المضاد عسكرياً فى لبنان تتمثل فى :

١ — حزب الكتائب اللبنانى الذى يتزعمه الشيخ بيار الجميل ، وهو مارونى متعصب ، ويدعو إلى تصفية المقاومة الفلسطينية وتحييد لبنان ، ويرفع شعار السيادة اللبنانية على أرض لبنان ، وتنصل لبنان من كل القضايا العربية .

٢ — تنظيم النمور ، وهو المايشيا التابعة لحزب الوطنيين الأحرار الذى يتزعمه « كميل شمعون » وزير الداخلية الحالى(١) ، ورئيس الجمهورية الأسبق .

٣ — جبهة حراس الأرز ، وهى الجناح العسكرى لحزب التجديد اللبنانى(٢) الذى يقوده الشاعر اللبنانى « سعيد عقل » ويرمزون لهذا الجناح بالحروف الأولى من اسمه بلفظة « جحا » .

---

(١) كان ذلك فى عهد الرئيس السابق فرنجية .

(٢) أعلن سعيد عقل بعد انتصار المارون فى الحرب اللبنانية عن حزبه الجديد تحت اسم (حزب الطليعة التبادعية اللبنانية) .

٤ ــ جيش التحرير الزغرتاوى ــ ويتمركز فى « زغرتا » مسقط رأس سليمان فرنجية رئيس الجمهورية الحالى(١) . ويقود هذا الجيش نجله (طونى) .

٥ ــ الرابطة المارونية .

٦ ــ فتيان مارون .

٧ ــ فتيان مارنهرا .

٨ ــ جبهة الموت لأعداء مارون .

وهذه المليشيات العسكرية تدور حول مركز أساسى ، هو حزب الكتائب اللبنانى ، وسوف نوضح بعض الحقائق عن أهمها فى السطور التالية ولابد من الإشارة إلى أن المليشيات الأخيرة ، انبثقت خلال الحرب فى الفترة الأخيرة ، وتعلن عن نواياها . (لاحظ الأسماء !) بكل تشدد وتطرف ورغبة جارفة فى الانتقام من أى مسلم على أرض لبنان !

وقد تأسس حزب « الكتائب » اللبنانى على نمط حزب « الكتائب » الإسبانى الذى نشأ فى خلال حرب ١٩٣٦ . وقد أنشأ « الكتائب » اللبنانى الشيخ « بيار الجميل » وهو مارونى متعصب ولد فى مصر ، وينتسب مع غيره من المارونيين إلى القديس « مارون » . وقد تحالف هؤلاء المارونيون مع المسيحيين القادمين من أوربة فى القرون الوسطى خلال الحروب الصليبية ، ضد المسلمين وأمدوهم بالغذاء والماء

---

(١) كان فرنجية مازال رئيساً للبنان .

وكانوا عيناً للدخلاء ، وقد دفعوا ثمن ذلك بعد رحيل الصليبيين ويبدو أنهم اليوم يريدون تكرار المأساة !

أما تنظيم النمور التابع لحزب شمعون ، فهو المليشيا العسكرية القوية بعد مياشيا « الكتائب » ، وكان يقوده المشير « نعيم » الذى أصيب فى العام الماضى (١٩٧٥) برصاصة قاتلة . وإذا كانت الكتائب تنفق أكثر من مليون ليرة يومياً ، وتعطى المسلح ثلاثة أمثال أجره فى العمل المدنى ، وتدفع دية قدرها ٥٠ ألف ليرة فى حالة موته ، فإن « النمور » ينفقون قرابة هذا المبلغ أيضاً .

وتتبع جبهة تحرير الأرز (جحا) حزب التجديد اللبنانى الذى يرأسه الشاعر « سعيد عقل » ، وهو الحزب الذى يدعو صراحة إلى انفصال لبنان عن العالم العربى ، بل يطالب بالانسحاب من الجامعة العربية وقطع الصلة بكل ما هو عربى . ومن أبرز زعماء هذا الحزب : شارل مالك ، ومى ألمر ، ونجيب جمال الدين ، وجوزيف نفاع ، والشاعر موريس عواد ، والفرد ألمر . ويركز هذا الحزب على الجانب العقائدى والفكرى ، فيدعو إلى استعمال السريانية بدلا من اللغة العربية ، وقام بإصدار مجلة تحت عنوان « ملكارت » وهو إله من آلهة الفينيقيين .

ويقود « طونى فرنجية » ابن رئيس الجمهورية الحالى « جيش التحرير الزغرتاوى الموحد » ومكانه « زغرتا » حيث عائلة فرنجية وأربع عائلات مسيحية أخرى تشترك فى هذا الجيش المنظم . وقد أخليت « زغرتا » من النساء والأطفال وكبار السن ، وتم ترحيلهم إلى « أهدن »

على مسافة ٤٠ كم . وقوة هذا الجيش حوالى ٦٠٠٠ مقاتل يقومون بالخدمة المستمرة على جبهة القتال فى « زغرتا » ويتم التبديل كل ٦ ساعات ويستخدمون أسلحة خفيفة ومتوسطة منها البنادق والرشاشات والهاون والدوشكا ومدافع ١٢٠ مم .

ويشكل هذا الجيش بجانب رجاله المنظمين فرقة انتحارية قوامها خمسون رجلا ، عشرة من كل عائلة من العائلات الخمس فى زغرتا . ومهمة هذه الفرقة تتضح حين تتأزم المواقف التى يواجهها الزغرتاوية .

وكل هذه الفصائل المقاتلة فى جانب المتعصبين المسيحيين تطمح إلى شىء واحد : هو ذبح المسلمين ، ومن ثم نراهم لايختلفون كثيراً حول الهدف أو الوسائل ، كما يحدث على الجانب الآخر ، أعنى جانب المسلمين !

الجانب المسلم :

إن الجانب المسلم فى الصراع لا يحسد على موقفه ، فهو منبوذ أساساً من القائمة الاجتماعية التى صنعها المتعصبون المسيحيون فى لبنان ، فهو الذى يشكل غالبية السكان فى الجنوب المقهور ، والذى يعيش فى فقر مدقع وجهل بالغ ، ثم تنهال عليه غارات إسرائيل الأولى ، كلما عن لها أن تنتقم من الفلسطينيين اللاجئين فى حماهم . وأيضاً فإن معظم هذا الجانب المسلم يعيش حالة من الأسى المقيم فى شتى بقاع لبنان ، رغم أنه يشكل الأغلبية السكانية الأحق بالرعاية والحكم معاً ، ولكن المارونيين لم يتركوا لهم حق التعبير عن مطالبهم أو رغباتهم

واحتكموا إلى السلاح يذبحون ويقتلون ! وكانت المأساة الرهيبة التى يعيشها لبنان اليوم !

ومن المؤسف أن هذا الجانب ممزق . فقيادته مسترخية ، ولا تؤدى مهمتها بالتنظيم والجدية والاستمرار الذى يعادل ما يفعله الجانب الأول. ويقوم المسلمون هناك بما يمليه عليهم الموقف وفق إمكانياتهم المحدودة غالباً ، فضلا عن تشرذم وتقوقع بين أطرافهم – فهناك المسلمون السنيون ، ثم المسلمون الشيعة ، ثم الدروز ، ويتداخل معهم الناصريون والاشتراكيون ، والبعثيون ، والقوميون السوريون ، وركب الموجة الشيوعيون أيضاً !

أمر ليس غريباً :

وقد يبدو هذا الأمر – ضعف المسلمين وتفرقهم – غريباً بالنسبة للبعض هنا وهناك ، ولكنه الواقع الذى تؤيده الدلائل والأحداث . فقد ثبت أن المتعصبين المسيحيين لا يلجأون إلى طلب وقف إطلاق النار إلا إذا ضعفت جبهة من جبهاتهم ولكنهم حتى الآن مازالوا فى مركز أقوى ولم يجنحوا للسلم ، وتتصاعد تصريحاتهم طلباً للتقسيم تحت شعار سيادة لبنان ، ومقاومة الشيوعيين واليسار الدولى ! نفس اللعبة التى يلعبها الرئيس المسيحى المتعصب « فرديناند ماركوس » فى الفلبين ضد المسلمين هنالك ، ويكررها هنا الرئيس اللبنانى المارونى « سليمان فرنجية » ونجله « طونى » وزير الإعلام السابق وقائد جيش التحرير الزغرتاوى الموحد .

إن المارون مازالوا فى وضع أقوى ، فقد أقفلوا على أنفسهم مناطق عديدة ، وكل من يدخلها من المسلمين يتم ذبحه بأبشع الصور على النحو الذى سنذكره بعد ، وأشارت إليه الصحف والمجلات العربية والدولية :

ونحن لا نعرف ، هل نسى السنيون والشيعيون والدروز خلافاتهم وتوحدوا لمواجهة حاملى الصليب فى القرن العشرين ؟ لسنا ندرى ذلك جيداً ، ولكننا نرثى لحالنا جميعاً حيث النار مستعرة ، نار من البيت تأتى وأخرى من الناحية ، حسب تعبير شعرى معاصر !

إنهم لا يملكون سوى التصريحات :

إن الشخصيات البارزة فى عالم السياسة اللبنانية ، والتى تتزعم الفرقاء المسيحيين والمسلمين ما زالت عاجزة عن الوصول إلى حل ، لأن الزعامة الإسلامية ، الممثلة فى كرامى وصائب سلام وجنبلاط والمفتى والصدر والأسعد تتمنى أن تصل إلى حل يوقف المجزرة ، بينما الزعامة المسيحية الممثلة فى فرنجية (سليمان) والجميل ، وشمعون ، ما زالت تشعل النار كلما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، ولنا أن نعرف أن مثل هذه المجازر لم يعرفها لبنان إلا فى عهد الرئيس الحالى فرنجية — وينبغى ألا ننسى أن ولده « طونى » من قادة المليشيات العسكرية — كما أن الجميل يملك أقوى تنظيم عسكرى يتفوق على الجيش اللبنانى إعداداً وعدداً وعدة . أما شمعون فهو وزير الداخلية الذى يسيطر على قوات الأمن ، ولحزبه تنظيم عسكرى قوى (النمور) بالإضافة إلى الجيش الذى تشكل قيادته مع قيادة المخابرات (المكتب الثانى) ثقلا قوياً إلى جانب المارون .

إن موقف رئيس الجمهورية قد قوبل من كثير من الأطراف باستهجان بالغ سواء كانت هذه الأطراف مسلمة أو مسيحية ، ولنا أن نستشهد بما حدث لجريدة « النهار » اللبنانية حين نشر رئيس تحريرها « ميشيل أبوجودة » مقالا يهاجم فيه فرنجية الذى يدعو لتقسيم لبنان إلى جيوب منعزلة على طريقة قبرص . ولأن الجريدة وصاحبها « غسان تويني » وزير الإعلام والصناعة الحالى ، تؤيد « كرامى » فقد وضعت عبوات متفجرة على باب « النهار » فحطمت الواجهة وعدة سيارات . ودفعت « النهار » الثمن !

أما « ريمون إده » السياسى المسيحى المعروف ، والذى يعارض ما يجرى فى لبنان ، فقد اتهمه المسيحيون بالخيانة وأسموه « ريمون محمد » لأنه يتصل بالمسلمين ، ونقلت عنه « دير شبيجل » الألمانية تصريحه التالى :

« عهد سليمان فرنجية جعل الكلاب فى لبنان أعظم قيمة من الإنسان ذلك أن الكلب يستطيع أن يسعى ويجرى فى شوارع بيروت ، ويلتمس طعامه كما يشاء دون أن يعترضه أحد . أما الإنسان إذا سار فى بيروت خلال الشهور الستة الماضية — وقت التصريح — ففى أى خطوة يتوقع رصاصة تنهى حياته » .

مجازر من نوع صليبى :

سوف نتوقف لحظات عند المجزرة التى قادتها الكتائب والمارون والمتطرفون يوم ٧ ديسمبر ١٩٧٥ والتى أطلق عليها مذبحة « السبت

الدامى » – (راجع روز اليوسف ، رسالة عاجلة من بيروت بقلم بكر الشرقاوى – العدد ٢٤٨١ – بتاريخ ٢٩ - ١٢ - ١٩٧٥) . فقد تم فى هذا اليوم وخلال دقائق قليلة ذبح ٣٠ مسلماً . كما تذبح الشاة ، فى قلب الشوارع – وقد كان المارون يسألون من يمر بهم قبل هذه المذبحة عن دينه ، فإذا عرفوا أنه مسلم قالوا له « سب ربك » فإذا سب الله ، وهو فى رعب شديد عادوا وطلبوا منه « سب محمداً نبيك » فإذا سب محمداً عادوا وطلبوا منه إذا كان شيعياً أن يسب « عليا » فإذا سب الإمام عليا وكان سبه مقذعاً وفاحشاً فى كل ما طلب منه أعتقوه وجعلوه يمر ! هذا ما كان يحدث فى أيام الهدوء النسبى – كما يذكر مراسل روز اليوسف ، أما ماحدث بعد ذلك فى يوم « السبت الدامى » فتقشعر له الأبدان :

على سبيل المثـــال :

• أم عجوز كانت تعبر الشارع مع ابنها . التقطوه . ذبحوه أمامها من الوريد إلى الوريد ؛ ولم يرحموا ضراعتها !

• زوجة مسلمة صغيرة السن ، اصطادوها هى وزوجها . بقروا بطنه وفقأوا عينيه ، ثم أجهزوا عليه بضربة بلطة فوق رأسه ثم عادوا واستداروا لها وغمدوا السونكى فى فرجها من فوق ملابسها وقالوا لها : « هاى ليكى يا مسلمة » !

• ولد كتائبى (١٦ سنة) راح يدفع أمامه رجلا مسلماً وهو يوجه الرشاش إلى بطنه . سقط الرجل على الأرض بعد أن تعثر من الرعب ،

أمسك هذا الصبى الرجل من شعره وسحب سكيناً طويلا من حزامه ، وراح يذبح الرجل من رقبته حتى تمكن من فصلها فى النهاية ، أمام سينما ريفولى بساحة البرج !

• إحراق المصاحف ، فقد كانت سيارة متجهة إلى سورية على الطريق الدولى فى منعطف عارياً ، وتحمل مصاحف مطبوعة . أوقفها الكتائبيون ، وقلبوا المصاحف على الأرض وأشعلوا فيها النار بعد ذبح سائقها !

وغير ذلك من الحوادث كثير !

بيروت .. يا بيروت :

المهم أن بيروت أصبحت الآن محرمة على المسلمين فى مناطقها المسيحية .

• تهجير المسلمين من المناطق المسيحية .

• معزولة عن الشمال .

• المارون لايحترمون وقف إطلاق النار — حتى فى عيد الأضحى .

• المؤسسات المسيحية لا تصرف مرتبات موظفيها المسلمين .

• هدم المساجد فى مناطق الأغلبية المسيحية .

أى أن الواقع يقول إن بيروت مقسمة الآن بالفعل(١) .

---

(١) لقد أصبحت بعد وقف إطلاق النار فى أكتوبر ١٩٧٦ مقسمة بالفعل إلى بيروت الشرقية (مسيحية) وبيروت الغربية (مسلمة) .

بدون تعليق :

١ – يذكر القراء أن المقاومة الفلسطينية ، ضبطت على أحد شواطىء لبنان منذ أسابيع(١) زورقاً إسرائيلياً محملا بالأسلحة فى طريقه إلى الكتائب .

٢ – وقد ذكرت الصحف المصرية منذ أيام(٢) أن حكومة إسرائيل ستسمح لنصارى لبنان بالمرور على الأراضى الإسرائيلية .

٣ – وقد ذكرت الصحف العالمية منذ أيام(٣) اكتشاف جيش كتائبى سرى يدرب فى استراليا ، حيث اعتقل البوليس الإسترالى مائة شخص من الجالية اللبنانية (بسدنى) العاصمة ، وعثروا معهم على كمية ضخمة من المتفجرات والأسلحة والذخائر ومعدات عسكرية .. وذكر متحدث بلسان البوليس الإسترالى أن رجال الأمن تلقوا تحذيرا بأن الجالية اللبنانية شكلت جيشاً خاصاً ، وأن هذا الجيش يتدرب على أعمال حرب العصابات ، كما أضاف أن بعض أعضاء هذا الجيش من أنصار حزب الكتائب اللبنانى سافروا إلى لبنان واشتركوا فى المعارك هناك .

---

(١) فى زمن كتابة الموضوع ، وقد ظهرت أدلة جديدة على اشتراك إسرائيل مع المارون فى الحرب .

(٢) لقد مروا بالفعل ، واستأجرت إسرائيل عددا كبيراً من اللبنانيين للعمل فى صناعة التبغ كما سيأتى فى صفحات قادمة .

(٣) كان هذا عند كتابة الموضوع بالطبع .

أما الهجرة :

أما الهجرة فقد ازدادت واتسعت إلى خارج لبنان . حوالى ٣٠٠ ألف هربوا إلى سورية ، ٤٠ ألفا إلى عمان ، وعشرات الألوف إلى مصر والخليج وبغداد !

والقتـــلى :

والقتلى وصلوا فى متوسط التقديرات(١) التى تنقلها وكالات الأنباء إلى ٨ آلاف قتيل ، أى ما يعادل ٨ أضعاف ما فقدته أمريكا فى فيتنام بالنسبة العددية ، أما الجرحى فكثيرون وتجاوزوا العشرين ألفاً !

وبعـــد :

فها هو ذا لبنان ، أو محنة الوجود الإسلامى الثانية فى العصر الحديث ، وما زال العالم يضع عينه وأذنه على ما يجرى هناك . والقلوب تخفق بالألم والأمل .. ولكن من يدرى ؟

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

صدق الله العظيم

---

(١) وصل القتلى الآن إلى أكثر من ٥٠ ألفاً كما سيذكر فى المقال الثالث .

المقال الثانى

حلقة جديدة فى مسلسل الحزن الدامى

عندما تحدثنا من قبل عن إسرائيل الجديدة التى يصنعها الموارنة فى لبنان على أساس صليبى بغيض لم نكن مبالغين ، وحين اتهمنا بأننا ننظر إلى ما يجرى على أرض لبنان نظرة دينية متعصبة ، لم نكن فى الحقيقة إلا مقررين لبعض ما يحدث فى تلك القطعة الغالية من وطن إسلامى كبير تضيع جهاراً نهاراً أمام ثمانمائة مليون مسلم دون أن يتحرك أحدهم بمنطق إيجابى أو سلوك فعال ، اللهم إلا الأمانى التى يطيرها الأثير عبر الإذاعات ، ويسودها الحبر فوق صفحات الصحف والدوريات !

وفى هذه الحلقة الجديدة ، فإن إسرائيل الثانية تكاد تقوم بنفس المواصفات ، وفى نفس الظروف التى قامت فيها إسرائيل الأولى . قوات عربية تابعة للجامعة العربية ، وقوات سورية تابعة لحكومة البعث فى دمشق تدعم وتؤيد وتناصر قوات الصليبيين الجدد فى لبنان ضد قوات أنهكها الألم والعذاب والتقهقر للمسلمين والفلسطينيين ، ثم غياب كامل للعالم الإسلامى عما يجرى ، وخلافات وتناحر وشقاق يفتت القوى العربية ويفرى جسمها ويسحقها أمام العالمين ، مع وفاق دولى مدعوم من إسرائيل بأن تظل النار مشتعلة فى منطقة الشرق الأوسط

حتى تولد الدويلات الهزيلة المنتظرة والتى تتيح للدولة العبرية أن تصبح سيدة المنطقة وسط أشباح متهالكة ومتنافرة ومتخلفة . كما توفر الفرصة للدول الغربية والشيوعية استغلال المنطقة استراتيجياً واقتصادياً إلى أقصى حد ممكن ، دون أدنى مقاومة ، فضلا عن ضرب العالم الإسلامى فى قلبه حتى لا تقوم له قائمة إلى أبد الآبدين .

لقد ضاعت فلسطين وفيها الجيوش العربية السبعة ، وسقطت القدس الجديدة ، وكان الناس يظنون أن فلسطين لن تضيع ، والقدس الجديدة لن تسقط ، وأن جامعتهم العربية قادرة على حفظ « الأندلس » الشرقية من الضياع ، ولكن الواقع المؤسف كان عكس ذلك ، إذ سقطت فلسطين العربية (الأندلس الشرقية) على مذبح الخلافات العربية والتشرذم العربى ، والغياب الإسلامى عن الحضور إلى الساحة الملتهبة !

أغلبية . . وأقلية !

ورغم نصاعة الحق الإسلامى فى لبنان بوجود الأكثرية المسلمة التى تمثل ٦٥ ٪ من السكان ، وشرعية مطالبهم فى الحكم والخدمات وموارد الدولة ، فإن الصليبين الجدد ضربوا عرض الحائط بكل هذا واستطاعوا أن يكونوا فرق القتل والتدمير ، ويجروا دولة عربية مسلمة ، هى سورية ، إلى جانبهم ، وقد سيطروا على معظم لبنان ،

ويستعدون لإعلان الدولة الجديدة والتى يسميها راديو « عمشيت » لسان الصليبيين الجدد ، بدولة « لبنان الحر » القائم على وجود الأمة المارونية — هكذا — ولعل أفضل وصف لما وصل إليه الصليبيون الجدد يتمثل فيما أوردته « الأهرام » — ٢١ - ٨ - ١٩٧٦ ، حين قالت :

« والآن فى « جونية » الميناء اللبنانى الجميل ، الذى يعتبر قطعة من سويسرا ، ومقر الدولة المارونية ، كل شىء هادئ رغم القنابل .. فمازال الموارنة رغم كل شىء يحافظون على مطالب الأرستقراطية ، فالسيجار الكوبى موجود ، والشمبانيا الفرنسية تستورد بانتظام ، وما زالت سيدات رجال الموارنة يأخذون حمام الشمس اليومى ، والتدريب على السباحة والتزحلق على الماء بمحاذاة شاطىء جونية الملئ بقوارب الحراسة الحربية ! »

وإذا كان إلقاء اللوم على الآخرين ، أو على بعضنا البعض ، لا فائدة منه اليوم ، فإنه ينبغى علينا أن ننظر إلى الأمور نظرة جادة وعميقة ترى الأشياء بحجمها الحقيقى وبمسمياتها الأصلية ، وليست تلك التى تطلقها أبواق الدعاية الرسمية المضللة . لقد عانينا كثيراً من التضليل ومن مجاملة الذين لا يخجلون ولا يتورعون عن هدم كل ماهو قيم ومضىء وإنسانى على الأرض الإسلامية ، ولا ينسون الأحقاد القديمة التى غرسها فى أفئدتهم بابوات روما وبيزنطة منذ قرون طويلة. لقد آن الأوان أن نعامل الآخرين باللغة التى يفهمونها وتستل منهم الخبث والفكر التدميرى والشيطنة الرابضة فى أعماقهم ..

ولست أدرى ماذا سيكون جوابنا حين نلقى الله ، ويسألنا عن السذاجة والبلاهة والترهل التى قابلنا بها المحن والكوارث والمؤامرات الدنيئة التى تصنعها الشعوبية المعاصرة ممثلة فى الصليبية الخبيثة واليهودية الحاقدة !

ولعل البعض يعن له أن يسأل : أصليبية حقاً تلك التى تتحرك فى لبنان اليوم ؟

والإجابة بلا أدنى تردد : نعم ..

صليبيـــة جديدة حاقـــدة :

والدليل على ذلك ما يلى :

إن زعماء المؤامرة ، هم : بيير الجميل وكميل شمعون وطونى فرنجية وسعيد عقل والأباتى شربيل القس ، وهذا منطقهم وسلوكهم :

يقول : « بيير الجميل » : إن مهمة الكتائب فى لبنان مهمة رسولية . !

ويرى كميل شمعون : أن لا خلاص لأحداث لبنان ووقف القتال سوى إخراج الفلسطينيين من لبنان وقتل من يتبقى ، وإقامة لبنان الحر الذى لا ينتمى للعروبة ، ولا يأخذ المسلمون فيه (وهم الأغلبية) حقوقهم المشروعة !

أما طونى فرنجية ، قائد جيش التحرير الزعرتاوى ، والذى كان أبوه يضع اسمه فى قائمة أى وزارة قبل اختيار رئيسها ، فإنه عندما

سئل عن أسلوبه ودوره فى حرب لبنان ، وأنه دخلها لإلهاء الناس عن تطلعات التجديد والتغيير عندهم قال :

« فإن كنا بهذه اللعبة التى تنسبونها إلينا خلصنا أرض الوطن ، نكون بذلك قد حققنا نتائج باهرة ، والمهم هى النتائج طبعاً . »

ولما قيل له :

— أليست هذه ميكافيللية ؟

أجاب :

— عندما أريد إنقاذ وطنى (! !) ألجأ إلى كل الوسائل التى تحقق لى هدفى (الصياد اللبنانية ١٩ - ٨ - ١٩٧٦) .

وقد نسى طونى فرنجية أن لبنان وطن الأغلبية المسلمة ، وأن إنقاذ الوطن لا يعنى إخراج هذه الأغلبية من دائرة تفكيره وتصوراته ولكنه الحقد المارونى !

ويأتى « سعيد عقل » الشاعر الذى انشق على الكتائب مكوناً جبهة حراس الأرز « جحا » ودعا إلى الكتابة باللاتينية ، واتخذها فعلا ، ونادى بالقومية الفينيقية ، فإنه يرى لبنان الذى لا يمت للعروبة بصلة ، ولبنان الذى يتعين عليه أن يخرج من الجامعة العربية ، ولبنان الذى يتحتم عليه أن يقتل آخر فلسطينى ، وفى تصريح له مع « حسن صبرى الخولى » مبعوث الجامعة العربية إلى لبنان ، قال سعيد عقل : « بتعرف يادكتور — يقصد الخولى — إنه ما راح تنتهى الحرب اللبنانية إلا بعد القضاء على آخر فلسطينى على أرض لبنان » (الصياد اللبنانية ١٩ -

٨ - ١٩٧٦) . ونود أن نذكر أيضاً أن سعيد عقل فى المؤتمر الصحفى الذى عقده لإعلان حزبه الجديد (الطليعة التبادعية اللبنانية) وزع بيانه باللغة العربية وقرأه باللغة اللبنانية التى يقول إنه سيجعلها لغة عالمية!

ولكن الأب شربيل القس أو الأباتى شربيل كما يطلقون عليه فى لبنان ، فهو أكثر تعبيراً عملياً عن صليبيته ، وتقوم فلسفته على ثلاثة مبادئ رئيسية :

١ — اعتبار لبنان دولة غير عربية دون أن تكون معادية للعرب !

٢ — تنظيم مليشيات قادرة على الدفاع عن المناطق المسيحية .

٣ — إعطاء الهوية اللبنانية (غير العربية طبعاً) لكل اللبنانيين المغتربين . وقد طبق هذه الفلسفة فعلا بزياراته المتكررة إلى المقر البابوى فى الفاتيكان ، وفى اتصالاته بإسرائيل ، وقد ذكرت « آخر ساعة » — ٤ - ٨ - ١٩٧٦ — أنه سافر إلى إسرائيل عن طريق قبرص واجتمع بالمسئولين الإسرائيليين وحصل منهم على كميات من الأسلحة والذخائر ، كما حصل على مساعدة مادية قدرت بثلاثة ملايين دولار ، فحول الأديرة فى جبال لبنان إلى ترسانة أسلحة ، وقام بتدريب سبعة آلاف راهب مارونى يشتركون الآن فى القتال العنيف والشرس والضارى الذى يشهده لبنان الآن .

الصليبيـــة ، فكـــرة راسخة ومسيطرة :

وإذا تتبعنا أقوال بقية القادة المارون والشخصيات المارونية ، فإننا لن نخرج بمضمون يختلف كثيراً عما رأيناه فيما سبق ؛ إذ تبدو

الفكرة الصليبية مسيطرة على أذهان المارون بشكل رهيب ، يتضح فى إصرارهم على سلخ لبنان عن العروبة ، أو الانتماء إليها ، ونعتها بالرجعية والتخلف الحضارى ، أو على حد وصف « أبو أرز » القائد العسكرى لجبهة حراس الأرز (جحا) بأن هوية لبنان العربية « هوية رجعية » تقود لبنان إلى الوراء مئات السنين ! وقد وصل الأمر إلى تزييف التاريخ حيث نشر « سعيد عقل » دراسة تاريخية تستهدف التاريخ العربى مشيراً إلى أن العروبة تقف فى وجه التطور والانطلاق والحضارة ! (آخر ساعة ٤ ـ ٨ ـ ١٩٧٦) .

إن المارون بهذا التصور ينتمون بالضرورة إلى التصور الأدنى الذى مازال يعيش فى القرون الوسطى ، وينمو وعيه الثقافى والفكرى على أصداء الحروب الصليبية ، رغم الفراغ الدينى الذى يسود الوجدان الغربى المعاصر .

وفى دراسة لـ « محمد أسد » عن أثر الحروب الصليبية يقول : « وقد يبدو من سخرية التاريخ أن يظل هذا الحقد الغربى القديم ضد الإسلام قائماً ، بطريقة لا شعورية ، فى زمن خسر فيه الدين القسم الأكبر من تأثيره فى مخيلة الغربى . بيد أن هذا فى الحق لا يبعث على الدهش ، فنحن نعرف أن شخصاً ما يمكنه أن يفقد بالكلية المعتقدات الدينية التى لقنها فى طفولته ، ومع ذلك فإن انفعالا معيناً ذاصلة بتلك المعتقدات أصــلا ، يستمر دونما وعى ، فى حالة العمل إبان حياته فيما بعد » .

ويواصل « محمد أسد » قائلا : « وهذا بالذات هو ما حدث لتلك الشخصية الجماعية : المدنية الغربية . إن خيال الحروب الصليبية لا تزال يرفرف فوق الغرب حتى يومنا هذا ، كما أن جميع اتجاهاتها وإرجاعها نحو الإسلام والعالم الإسلامى لا تزال تحمل آثاراً واضحة جلية من ذلك الشبح العتيد الخالد »

وقد اعترف مؤخراً كاتب يسارى مصرى معروف هو الأستاذ « أحمد بهاء الدين » بأن ما يجرى الآن فى المنطقة ، ومن بينه لبنان هو حرب صليبية جديدة ، أو هو حلقة فى تلك الحرب التى بدأت فى القرون الوسطى . وإن كان الكاتب بانتمائه المادى ، قد أرجع أسباب هذه الحرب إلى ظروف عسكرية واقتصادية بحتة ، بعد أن أفرغها من مضمونها الدينى المتعصب والوثنية المتخلفة التى تعيش فى الذهن الكاثوليكى المعاصر .

إن من يسمع إذاعة « عمشيت » راديو القوى المارونية يهوله ذلك النداء الذى تختم به الإذاعة برامجها ، حيث تطلب من مقاتليها قتل آخر فلسطينى ، وآخر عربى قومى ! ! فأى تعصب وأى صليبية ؟ !

التطبيق العمـــلى للتعصب الصليبى :

إذا انتقلنا من عالم الفكر المجرد للتصور الصليبى فى ذهن المارون ، فإننا نراهم ينجحون إلى حد كبير فى تنفيذ هذا التصور ، ونقله إلى عالم الحقيقة . ولعل أبرز النماذج التى توضح ذلك ما جرى فى « أميون » المسيحية الأرثوذكسية وجسر الباشا والنبعة وتل الزعتر . . وآه ياتل الزعتر !

أميـــون الأرثوذكسية :

تقع أميون فى جنوب طرابلس ، ويسكنها مسيحيون أرثوذكس ويتميز سكانها بالميل إلى العروبة ، والتعاطف مع القضايا القومية مما سبب لهم كثيراً من الاضطهاد على يد المارون المتعصبين .

يقول بكر الشرقاوى (روز اليوسف —١٩ - ٧ - ٧٦) : « ولكنهم - فى أميون — عبر تاريخ طويل أثبتوا فعلا أنهم قلعة من قلاع الاتجاهات العروبية والتقدمية ومعاداة الطائفية ، وهم فى ذلك عانوا من الحروب التى دارت بينهم وبين أهل زغرتا (بلد فرنجية) الذين أحرقوا لهم عاصمتهم أميون منذ أكثر من ١٠٠سنة .. والآن فى أيامنا هذه تكررت نفس المأساة ، ولكن بمساعدة السوريين مع الأسف » .

لقد كان من نصيب هذه البلدة أن أحرقت تماماً على يد الكتائب ، المدعومين بالقوات السورية (١٤٢ دبابة) بعد أن حاصرها الجيش اللبنانى بقيادة العقيد بركات لمدة ٢٠ساعة مع القصف المدفعى العنيف . لقد أبيدت عائلات بأكملها ، ولم يبق إلا أقل من ثلاثة آلاف من مجموع سكانها (١٤ ألفاً) معظمهم هجروها أوقتلوا على يد المارون « فكانوا يضعون أفراد العائلة الواحدة والأم والأولاد مع الجنود إذا كانوا أحياء ، ثم يصفونهم عن آخرهم . وكان هذا يحدث فى ساحة الكنيسة الكبرى فى البلد ، وهى كنيسة تهدم معظمها ونسف برجها وانفجر محرابها » — روز اليوسف ١٩ - ٧ — ٧٦ .

إن التصرف الصليبي مع الإخوة الأرثوذكس يمثل علامة على الطريق البشع الذى يسلكه الصليبيون الجدد ، وإن كان هذا التصرف – للأسف – لم يلق استنكاراً من بابا روما الكاثوليكى أو بابا الإسكندرية الأرثوذكسى . ولسنا ندرى لذلك تفسيراً مقنعاً !

جسر الباشا – تل الزعتر – النبعة !

لقد كان سقوط « جسر الباشا » مقدمة لسقوط « تل الزعتر » ، فالسيطرة على حى النبعة . ورغم أن جسر الباشا من مخيمات الفلسطينيين الذى تسكنه أكثرية مسيحية ، فإن المارون لم يرحموا أهله ، وقاموا بعملية قذرة دمرته ونكلت بمن بقى حياً ، « لقد دخل الموارنة اللبنانيون ومزقوهم تمزيقاً . اغتصبوا الفتيات ثم قتلوهن بعد ذلك . ورفعوا الأربطة عن الجرحى ثم وضعوهم فى الأمكنة المعرضة للقصف . ربطوهم بالحبال وساقوهم إلى المعتقلات . سحلوا قائد المعسكر ، وهو مسيحى مارونى وجروه فى شوارع الأشرفية ، ومكبرات الصوت تدعو الموارنة للفرجة عليه ، حتى مات أمامهم من كثرة التمزيق وهم يشربون الشمبانيا على جثته احتفالا بما يسمى بتحرير جسر الباشا. تماماً كما فعلوا من قبل فى المسلخ » – روز اليوسف ١٢ - ٧ - ١٩٧٧

ومع سقوط جسر الباشا كان مخيم «تل الزعتر» يقاوم حصاراً ضارياً وهجمات وحشية كثيفة وعاتية . لقد ظل هذا المخيم صامداً مدة ثلاثة وخمسين يوماً ، بعد أن صد سبعين هجوماً عنيفاً تحت أقسى الظروف داخلياً وخارجياً ، لقد نفدت المئونة والمياه فضلا عن الذخيرة ،

وزاد عدد القتلى الذين لم يدفنوا والجرحى الذين لم يجدوا العلاج ، ولو فى صورته البسيطة كالإسعافات الأولية ، وانقطع الاتصال بين المعسكر والقوات الفلسطينية خارجه ، اللهم إلا ذلك الاتصال اللاسلكى الذى ينقل الأوامر بين القيادة الفلسطينية المشتركة ، والأخبار إليها . وظل المعسكر الفلسطينى يرفع راية الصمود التى تحدث عنها العالم أجمع ، وشرحتها رسالة الصامدين داخله إلى مؤتمر وزراء الخارجية العرب . لقد تحول « تل الزعتر » إلى أسطورة تحدث الهمجية والبربرية والقسوة التى صنعها الصليبيون الجدد من أتباع القديس مارون .

الجرح الذى صـــار وردة :

وقد تحدثت « الأوبزرفر » البريطانية عن تل الزعتر قبل سقوطه فقالت : « تل الزعتر — معسكر اللاجئين الفلسطينيين المحاصر فى بيروت — أصبح ملحمة بطولية مثل معركة باتان الأمريكية .. لقد ظل المعسكر الذى قطعت الطريق إليه بواسطة القوات المسيحية المعادية للفلسطينيين ، يهاجم ويقصف بالقنابل لمدة شهر كامل ، وكل من فيه يعانون الجوع والعطش ، وفى آذانهم ليل نهار أنين الجرحى .. والمحاصرون فى داخله وعددهم يقل عن ألف مدافع عنه ضد وابل رهيب من القنابل وقذائف المدافع ، ويصدون هجومين كل يوم غالباً قبل الظهر .. وعندما يبدأ القصف يطرح الرجال بأنفسهم أرضاً ، وعندما تخف وطأة القنابل والرصاص يندفعون لاقتناص من يستطيعون من مهاجميهم »

وقد عبر المقاتلون المحاصرون فى تل الزعتر قبل سقوطه أحسن

تعبير عن كفاحهم فيما أوردوه فى رسالتهم إلى وزراء الخارجية العرب الذى انعقد فى القاهرة بتاريخ ١٢ - ٧ - ١٩٧٦ حيث قالوا :

« فقد قصف الانعزاليون الفاشيون بيوتنا بشكل وحشى لم يسبق له مثيل ، آلاف القذائف الثقيلة والصواريخ ، سقطت على بيوت مخيمنا ، وعشرات الهجمات الكثيفة بلغت اثنتين وخمسين هجمة تعرض لها مخيمنا طوال هذه الأيام ، واستعملت خلالها كافة الأسلحة المتوسطة والثقيلة ، لكننا قمنا بالتصدى لها وردها ..

لقد ولدنا من قلب الجوع والعطش والحصار الطبى ؛ طاقة للصمود لا يستطيع أحد شلها أو تكتيفها ، لأننا نعلم أننا بدفاعنا عن مخيمنا ، ندافع عن .. وجودنا ، وعن حياة شعبنا ، عن إرادته فى الحياة ، وعن إصراره على النضال من أجل العودة إلى أرض وطنه ، وإننا مصرون على الصمود . لقد قررنا ألاانستسلم ، وأعلنا ذلك ، وأننا لا نزال عند قرارنا ، لكنه فى المقابل نود أن نسجل للتاريخ أننا وضعناكم أمام مسئولياتكم ، وضعناكم بالصورة الكاملة حتى لا يقع فى ذهن أى من الجماهير العربية أنكم لا تعلمون ما يجرى . إن مخيمنا – الذى قوامه حوالى ثلاثين ألفاً داخل المخيم الآن من نساء وأطفال وشيوخ ورجال وشباب أيضاً ، حوالى ٤٠ ٪ منهم من الفقراء اللبنانيين ، والباقى من الفلسطينيين ، يشيع فيه الدمار الآن .. لا ماء إلا النزر اليسير ، نستطيع حمله من الآبار وسط خطر القصف والموت . ولا طعام ، إلا ما أمكننا التقاطه من أعشاب الأرض وخضراواتها . لا كهرباء على الإطلاق ، وأيضاً لا أدوية ولا علاج ، إن كثيراً من جرحانا الذين

كان يمكن ألا تؤدى إصاباتهم إلى الموت ، حتى أولئك الذين كانت إصاباتهم غير خطرة ، قد نزفوا حتى الموت بسبب انعدام الدواء ، وإنكم لابد تتصورون كم هو مؤلم وقاتل أن ينزف المرء بين يدى أخيه أو صديقه أو رفيقه حتى الموت ، دون أن يستطيع له مساعدة ، حتى ذلك الرباط من الشاش . لقد دفنا شهداءنا الذين سقطوا ضحايا القذائف المحرمة فى أقرب حفرة استطعنا حفرها ، ولقد استشهد بعضنا أثناء ذلك ..

هو قاس ذلك الإحساس الذى يخالج النفس بأن رفيقه أو صديقه أو امرأته التى جرحت بشظية أو رصاصة قناص سوف تدفنها بعد يوم أو أيام بعد أن تستكمل النزف .. »

إن هذا الجزء من رسالة سكان تل الزعتر قبل سقوطه ، تشكل ملمحاً هاماً من ملامح السلوك الصليبى الذى يتحرك به المارون على أرض لبنان بالكراهية والتعصب والشراسة واللاإنسانية . وإذا كان الواقع القاسى والمؤلم الذى يمر به لبنان اليوم يقول بتفوق المد الصليبى الذى يساعد فى صنعه البعثيون السوريون ، فإن المستقبل لن يفلت هؤلاء أو أولئك من قبضة التاريخ ، ومن حكمه العادل الذى سيقضى بهزيمتهم شر هزيمة ، ولعلهم ينظرون إلى الوراء ويأخذون العبرة مما فعله الناصر إسماعيل حين سلم صيدا إلى الصليبيين القدامى ، فسحقه وسحقهم التاريخ ، وجللهم بالخزى والعار الذى لا يمحى ! ولعل القارئ يسأل عن الدور الذى لعبته سورية فى لبنان ، ونحن نوجز هذا الدور فيما يلى :

مبادرة سورية أم تورط سورى ؟

حين وقعت القاهرة اتفاقية سيناء الثانية والتى تقضى بالتراجع الإسرائيلى إلى خلف المضايق ، والتخلى عن آبار البترول فى خليج السويس (آبار أبى رديس) ، هاج الاتحاد السوفيتى وماج ، لأنه كان بعيداً عن المشاركة فى هذه الاتفاقية ، ولم يتمكن من ممارسة لعبته القذرة فى تعقيد الموقف وتجميد القضية العربية .. وكان عليه أن يبحث عن طرف آخر يؤدى دوره الذى فشل فيه ، ووجد فى حكام البعث السورى أداة سهلة لتنفيذ رغباته ، بحكم تطلعاتهم إلى زعامة العالم العربى ، وميلهم إلى الثرثرة الإعلامية . وتغطية فشلهم الداخلى اقتصادياً وسياسياً ، فبدأ السوريون يشنون الحملات الإعلامية الضارية ضد اتفاقية سيناء وضد القاهرة وضد أمريكا — رغم أنهم يتعاملون مع أمريكا معاملة جيدة — وذهبوا فى حملاتهم إلى أبعد الحدود حيث اتهموا المصريين بالخيانة والعمالة .. إلخ واستأجروا عدداً من الكتاب المصريين كان نجوماً فى العهد الماضى ، وأبرزهم « محمد حسنين هيكل » الذى فقد مناصبه الصحفية ، ونفوذه السياسى فى القاهرة ، فراح يبيع كلماته لمن يعادى القاهرة وسياستها التى بدأت تنفرج ببعض الممارسات الديمقراطية ، وإتاحة الحرية النسبية لمناقشة بعض القضايا الداخلية ، مع ما رافق ذلك من ظهور وعودة كتاب آخرين إلى ساحة الصحافة أذهبوا بريق «هيكل» وقضوا على تفرده فوق عرش الكتابة الصحفية طيلة العهد الماضى ، وبالتالى ، فإن سورية وجدت فى « هيكل » ومن هم على شاكلته — بغيتهم التى يبحثون عنها فى إذكاء الحرب الإعلامية والشتائم ضد المصريين انطلاقاً من اتفاقية سيناء .

وقد استطاع البعثيون أن يكسبوا إلى جانبهم فى البداية منظمة التحرير الفلسطينية التى أصدرت بياناً معادياً لحكومة القاهرة ، ورافق ذلك زيادة نفوذ منظمة الصاعقة التى ترعاها سورية ، إلى درجة أن أصبح « زهير محسن » يكاد يكون هو زعيم الفلسطينيين جميعاً .

أما المارون فقد كانوا أكثر ذكاء حين رأوا أن قوتهم وحدها لا تكفى للقضاء على المسلمين والفلسطينيين ، فقاموا بخديعتهم للبعثيين التى أثمرت ذلك التدخل السورى عسكرياً إلى جانبهم ، ومحاصرة قوات المسلمين والفلسطينيين ، وتغيير الموقف لصالح المارون بعد أن كان المسلمون يسيطرون على ٨٠ ٪ من مناطق لبنان .

إن حكومة البعث فى سورية حاولت أن تنتقم لتمرد الفلسطينيين فى منظمة التحرير على رغبات دمشق وأرادت أن تجعل من منظمة الصاعقة الفلسطينية قيادة لكل الفلسطينيين ، فدفعتهم للقتال ضد إخوتهم فى منظمة التحرير الفلسطينية مما جعل الرد عليهم عنيفاً وأدى إلى تصفية الصاعقة وإغلاق مكاتبها فى لبنان ، وهروب « زهير محسن » إلى دمشق . وكان على القيادة الفلسطينية ممثلة فى « عرفات » أن تصحح مسار الثورة الفلسطينية وتتجه إلى خط القاهرة مما أفقد البعثيين صوابهم فكثف البعثيون من تدخلهم العسكرى فى لبنان ، ودفعوا بقوات أكثر إلى منطقة البقاع ، وكان التورط الذى لم يستطيعوا منه خلاصاً حتى الآن بطريقة تذكرنا بتورط حكم عبد الناصر فى اليمن « السعيد » !

لقد أعلنت سورية أن تدخلها فى لبنان إنما جاء لحماية لبنان وفرض

الأمن والسلام فى ربوعه ، ومنع المؤامرات الامبريالية من تقسيمه وحماية الثورة الفلسطينية من مؤامرات الانعزاليين . ولكن ما الذى حدث بعد ذلك ؟

يقول « فاروق قدومى » من أبرز قادة منظمة التحرير الفلسطينية (الأخبار ٧ - ٩ - ١٩٧٦) :

« لقد زاد التصعيد العسكرى والاشتباكات حيث شملت مناطق متعددة ، مناطق مسيحية بحتة مثل الكورة فى الشمال (روم أرثوذكس) حيث قامت القوى الانعزالية بمهاجمتها والقيام بمجازر بشرية أدت إلى تهجير عشرين ألفاً إلى مدينة طرابلس ، كما ازداد الحصار التموينى على المناطق الوطنية وتصاعدت هجمات متكررة على مخيم « تل الزعتر » قبل سقوطه طبعاً - وتصاعدت هجمات متكررة على مخيم تل الزعتر - كما أن النبعة أخليت من سكانها ، وقامت القوى الانعزالية تحت ظل سيارات الصليب الأحمر بهجماتها البربرية على تل الزعتر بعد أن فقد كل مقومات الحياة ، وبلغ عدد الجرحى ألوف من الأشخاص .

إن فاروق قدومى يخلص إلى أن الأمن فى لبنان قد غاب تماماً بعد التدخل السورى - وأن المقاومة الفلسطينية قد تورطت أيضاً نتيجة هذا التدخل ، وأن القوات المشتركة (المسلمين والفلسطينيين) قد فقدت الاتصال بين مختلف المناطق فى الشمال والجنوب ، وباتت قواتها منفصلة عن بعضها البعض بينما اتصلت المناطق المسيحية المارونية مما سهل لها إمكانية التعبئة والحشد ومهاجمة المواقع الإسلامية كل على حدة دون أن تلقى هذه المواقع دعماً أو مساندة ، ثم يقول : « إن القوى

الانعزالية أعجز من أن تحقق انتصاراً لولا وجود الجيش السورى فى المناطق الوطنية يقيد تحركاتها ويحسم الكثير من حركات وتنقلات المقاومة الفلسطينية » .

ومن المؤسف ، أنه فى هذا الجو المعتم ، تأتى منظمة للشيعة المسلمين ، فى لبنان وتدعى منظمة « أمل » وتنضم إلى القوات السورية والمارونية لمحاصرة المسلمين والفلسطينيين ، على أساس أن الشيعة علويون ومن واجبهم أن ينضموا للعلويين السوريين !

لقد أسهمت منظمة « أمل » ومجموعة المحرومين القادمين من جنوب لبنان ، ومجموعة « فتيان على » وكلها تابعة للإمام « موسى الصدر » و « كامل الأسعد » ؟ فى مأساة سقوط حى النبعة ، وبذلك أحدثوا مصيراً رهيباً لسكان هذه المنطقة ، فهم قد هربوا إليها نجاة من العدوان الإسرائيلى ، وكلهم من الفقراء الذين جاءوا للعمل فى المصانع المجاورة ، فإذا بهم يجدون أنفسهم يتعاونون مع أعدائهم من الكتائب والشمعونيين الذين قصفوهم وشردوهم .... وهذه المأساة قد أفزعت المجتمع اللبنانى ، وشغلته عن الدور الجديد الذى يقوم به أعوان السياسة السورية داخل الصف الوطنى ، فالشيعة هم الطائفة الغالبة بين اللبنانيين ، وكان من الممكن أن يكون منصب الرئاسة لهم حسب تعدادهم ، ولكنهم مضطهدون منذ عهود طويلة ومناطقهم محرومة من الإصلاحات والخدمات ، لذلك يهجرون مناطقهم للعمل ويعيشون فى ظروف اجتماعية واقتصادية سيئة ، فإذا بهم الآن يستنهضون بزعامة « الصدر » الدينية ، وزعامة « الأسعد »

السياسية ليلعبوا دوراً ضد أنفسهم ، ولصالح الكتائبيين والشمعونيين وراد لهم أن يطعنوا حلفاءهم فى الحركة الوطنية » (روز اليوسف — ١٦-٨-١٩٧٦) .

مؤتمـــرات فاشـــلة :

لقد بات واضحاً أن سورية قد تورطت فى لبنان ، وأن مبادرتها انقلبت إلى عبء ثقيل أثر على صورتها القومية التى حاولت أن تظهر بها عشية الاتفاق الثانى فى سيناء ، فقد خسرت الفلسطينيين(١) ، وزرعت فى قلوبهم الحقد والكراهية — كما فعل الملك حسين فى أيلول ١٩٧٠ — وأصبح المسلمون اللبنانيون يرون فى سورية العدو الذى احتل أراضيهم وسلب منهم النصر الذى حققوه فى البداية على المارون ، وبالتالى أضاع منهم فرصة تحقيق مطالبهم وحقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية . كما اهتزت الصورة فى أذهان العرب حيث رأوا فى البعثيين فرساً جامحاً يضرب على غير هدى . أو فى أحسن الأحوال يأتمر بأمر السوفييت والأمريكان معاً . وقد خلق هذا الموقف على الساحة العربية محنة قومية ينظر إليها الجميع بعين الاهتمام ؛ سواء كان هذا الاهتمام مغلفاً بالحزن والأسى لما يجرى من مذابح ، أو مشوباً بالسرور الداخلى وانتظار القضاء التام على الفلسطينيين حتى تستريح بعض الحكومات العربية من وجودهم ، أو ممزوجاً بالحذر

---

(١) يلاحظ أنه بعد توقف المعارك فى جزء كبير من لبنان ، بدأت مصالحة جديدة بين الفلسطينيين والسوريين ، ومنظمة التحرير ، نضلا عن المصالحة بين السوريين والمصريين ، فيما تلا مؤتمرى الرياض والقاهرة (أكتوبر ١٩٧٦) .

والترقب خوفاً من عدوى هذه المحنة ومضاعفاتها . وهذا التباين إزاء المحنة القومية يفسر لنا سر الفشل الذريع الذى منيت به مؤتمرات وزراء الخارجية العرب التى انعقدت أكثر من مرة تحت لواء الجامعة العربية ، فلم تستطع هذه المؤتمرات أن تنجح فى وقف إطلاق النار ووضع حد للمذابح الرهيبة التى تقدر يومياً بمائة ذبيح على الأقل . ولم تفلح فى الوصول إلى عقد مؤتمر للقمة العربية ينجز (١) شيئاً ذا بال بل إن المؤتمر الذى اتفق على عقده أخيراً للملوك والرؤساء العرب فى ١٨ من أكتوبر القادم — مازال بيننا وبينه أمد بعيد ، تصعد فيه سورية والمارون — ومعهما قوات أردنية مجهزة بالدبابات كما أعلن أخيراً — من عملياتهم العسكرية للسيطرة على الجبل اللبنانى والقضاء على آخر معقل من معاقل المقاومة الإسلامية والفلسطينية ، وبذلك ينعقد المؤتمر — إذا انعقد — تحت ضغط الأمر الواقع الذى يحقق مطالب الصليبيين الجدد بتهجير بقايا الفلسطينيين وتوزيعهم على العالم العربى ، وتولية إلياس سركيس — الرئيس المارونى المنتخب وتنحية الزعماء الوطنيين المطالبين بالحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية مثل كمال جنبلاط — عن الساحة السياسية ، وترضية بعض الزعامات التقليدية بمناصب فى الدولة ، ثم يبقى حزام البؤس قائماً وسط الأغلبية المحرومة من المسلمين .. وعندئذ تصبح الدولة وبعد هذا المسلسل الدامى ، مارونية تماما منسلخة عن الواقع القومى ،

(١) استطاع العرب - بعضهم بالتحديد - العمل على عقد مؤتمر قمة محدود فى الرياض ، لكل الرؤساء والملوك فى القاهرة — أكتوبر ١٩٧٦ ، وتوصل إلى عدد من القرارات أهمها وقف إطلاق النار الذى لم يكن كاملا حتى اليوم (إبريل ١٩٧٧) .

ومعادية للأمانى القومية ،ومتعاونة مع إسرائيل، وهذا يكفى الصليبين الجدد شر التقسيم الذى يقف العالم العربى ضده ، ويتمكنون من إقامة « لبنان الحر » على كل لبنان بدلا من قطعة فى لبنان ! !

التعاون . . والإعجاب المتبادل :

إن المارون جادون فى عملية التقسيم إذا لم تتم لهم السيطرة الفعلية على كل لبنان ، وهم معجبون للغاية بالدولة العبرية المعادية للعرب « إسرائيل » ، ويستعدون لإقامة « إسرائيلهم » المارونية على نمط اليهودية ، وقد تحدثت الأنباء عن اتصالات عديدة يقوم بها زعماء المارون (شمعون ، الأباتى شربيل ، فؤاد لحود) مع زعماء ومخابرات إسرائيل لتلقى المساعدات العسكرية . وقد نشر أن إسرائيل تقوم بتدريب قوات مارونية على استخدام الدبابات ، وقد نشرت « الأخبار » القاهرية فى عددها الصادر بتاريخ ٧ - ٩ - ١٩٧٦ الخبر التالى تحت عنوان : « بيريز زار لبنان ٤ مرات واجتمع بشمعون والجميل » قالت الأخبار نقلا عن مجلة « تايم » الأمريكية : إن شيمون بيريز وزير الدفاع الإسرائيلى زار لبنان ٤ مرات خلال الأشهر الماضية ، واجتمع مع شمعون وبيير الجميل وفرنجية ، وقالت المجلة - تايم - إن إسحاق رابين رافق بيريز فى إحدى هذه الزيارات ، وأضافت أن إسرائيل أبرمت حلفاً سرياً مع العناصر الانعزالية (المارونية) فى جنوب لبنان ، وأنها تقوم بتدريب القوات الانعزالية على حرب الدبابات .. وأن هذه العناصر ستعود إلى لبنان ومعها ٣٨ دبابة من طراز إم ٥٠ . وقالت المجلة إنه طبقاً لبنود التحالف السرى

تقوم إسرائيل بحصار موانى لبنان لصالح الانعزاليين ، كما ستقوم باحتلال شريط داخل لبنان يخضع لمنظمة فتح .

وأضافت المجلة أن معاهدة سرية أبرمت مع سورية .

الفرح على الطريقة الإسرائيلية :

ولقد صرح الإسرائيليون أكثر من مرة بأن المهمة التى تقوم بها سورية تحقق لهم كثيراً من المكاسب ، بالقضاء على الفلسطينيين الذين يسببون لهم كثيراً من المتاعب ، وقد سكتوا على العمليات التى يقوم بها السوريون والمارون طالما كانت داخل الخط الأحمر المتفق عليه ضمناً بين هؤلاء وبينهم ، كما أبدى الإسرائيليون سرورهم العميق لما يلحق بالفلسطينيين واللبنانيين المسلمين من جراء تلك الحرب الدامية ، وقد روجوا فى العالم أن القضاء على الفلسطينيين فى لبنان سيحقق الفرصة العظيمة للتسوية السلمية فى الشرق الأوسط ! !

ونحن لا نستغرب موقف الدول الكبرى الممالئ لسورية والمارون وإسرائيل ، فالاتحاد السوفييتى يدعم سورية بالسلاح والذخائر لتقاتل بهما فى لبنان ، وتمد المارون بحاجتهم القتالية ، وإن كان — إمعاناً فى السخرية بالعقل العربى — يصدر البيانات المطولة فى مهاجمة اليمنيين الإمبرياليين الذين يعتدون على مكاسب الثورة الفلسطينية واليسار اللبنانى ! أما أمريكا فقد ظهر دورها واضحاً فى تأييد المارون ، وقد قام مبعوثان أمريكيان بزيارة زعماء « كيفور » — المارون —

فى جونية العاصمة المقترحة للبنان الحر ، واعتبر المراقبون هذه الزيارة بمثابة إعطاء الضوء الأخضر لإعلان الدولة المارونية الجديدة — وقال بعض المراقبين أن هنرى كيسنجر يقف وراء عملية التصعيد العسكرى السورى ليتم القضاء على الفلسطينيين ويتاح له من جديد اللعب بورقة الشرق الأوسط على طاولة السياسة الأمريكية فى عهد الرئيس الجديد للولايات المتحدة ، ويتمكن من الوصول بالأطراف المختلفة فى أزمة الشرق الأوسط إلى مائدة المفاوضات فى « جنيف » .

وواضح أن فرنسا تعتبر « الأب الروحى » للمارون ، ومن ثم فإن الأنباء تجمع على أن باريس هى المصدر الرئيسى للتمويل العسكرى والاقتصادى لجبهة كيفور — المارون — وأن تخلى الوسيط الفرنسى عن وساطته فى لبنان كان إيذاناً بأن أمراً واقعاً جديداً قد تم فى لبنان وهو قيام دولة جديدة للمارون تدعى « لبنان الحر » .

سؤال وجــواب :

لقد أجاب « كمال جنبلاط » عن سؤال يقول : اتهمك الرئيس السورى حافظ الأسد بأنك تعمل للانتقام من حكم الموارنة طوال ١٥٠ سنة . فما هو ردكم على هذا الاتهام ؟

أجاب « جنبلاط » بقوله :

« نعم إننى أعمل لإزالة الحكم الانعزالى المارونى من لبنان ، والمجيء برجال حكم وطنيين موارنة وغير موارنة . أى أننى أعمل

لإزالة استئثار فئة . إننى أتوخى إزالة الطابع الصليبى المحدود عن وطن نريده للجميع دون أى تمييز ، ونريد تصفية الطائفية السياسية ، وإقامة دولة علمانية ديمقراطية يتساوى فيها الجميع أمام القانون ، ودولة ذات طابع عربى تقدمى ، لا طابع عربى رجعى ، ونريد أن يكون هناك تكافؤ للفرص الاجتماعية لجميع المواطنين . فرحباً باتهامات حافظ الأسد وغيره من بعض حكام العرب . فهى شهادة لحقيقة الذى نريد ، ولصوابية النهج الذى نناضل على هديه » (الصياد ٢٨ - ٨ - ١٩٧٦) .

وكان جنبلاط قد حدد لنفس الجهة السائلة أسباب الصراع الصليبى فى لبنان ، وأوضحها فى عشر نقاط نوجزها فيما يلى :

• النظام الطائفى الذى يعطى المسيحيين فى لبنان حصة الأسد فى جميع الوظائف العامة ، بما فى ذلك التمثيل النيابى (٥٤ نائباً مسيحياً مقابل ٤٥ للمسلمين بينما عدد المسلمين ٦٥ ٪ من السكان) .

• الامتيازات التى يتمتع بها المارون دون جميع اللبنانيين ومن بينهم الموارنة الوطنيون ، فى حين أن الموارنة جميعاً لا يزيدون عن ١٧ ٪ من عدد السكان .

• التناقض بين جيل السياسيين المحترفين والجيل الجديد الطامح لإقامة دولة حديثة عصرية وحكم شعبى فى لبنان .

• الصراع القائم بين المحرومين وبين فئة قليلة من المتملكين وأرباب المال .

• الصراع بين لبنان العربى القومى ولبنان الموارنة الذى يتملص من العروبة ويسعى لخلق دولة ذات طابع صهيونى معادية للعروبة .

• الطابع الفاشستى الذى تتخذه المنظمات العسكرية المارونية .

• كراهية بعض الحكام العرب لقيام حكم متطور ومتقدم فى لبنان .

• تضايق بعض الحكام العرب من وجود الفلسطينيين فى لبنان .

• المؤامرة الخارجية الهادفة لتحطيم المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية .

• أخيراً الخلافات العربية .

لقد أوردنا بعضاً من وجهة نظر « جنبلاط » فى الأحداث الدامية الحزينة فى لبنان ، باعتباره أفضل من يمثل وجهة نظر لبنان العروبة فضلا عن وطنيته الصادقة ، رغم محاولة البعض إلصاق تهم الشيوعية والعمالة والشغب به وبالحركة الوطنية كلها . ولكن جنبلاط بما يمثله اليوم(١)من ثقل سياسى وعسكرى فى الأحداث يضع أمام أعيننا صورة لما يمكن أن يكون عليه المستقبل . على الأقل من ناحية مطالب المسلمين والفلسطينيين ، وتصحيح الأوضاع المتردية فى لبنان ، ولا يستطيع

---

(١) كان ذلك بالطبع قبل مصرعه بأيد آثمة فى ١٩٧٧/٣/١٦ .

المراقب أن يتنبأ بما سيجرى ويحدث فى ذلك القطر الجريح تماماً ، وإن كانت الاحتمالات تتعدد وتتباين .

نداءات فى صحراء :

وقد بدأت القاهرة من جديد تأخذ زمام المبادرة السياسية متجاوزة مرحلة النداءات من بعيد بمثل : ارفعوا أيديكم عن لبنان ، هناك طبخة فى لبنان . على فرنجية أن يبتلع كرامته ويستقيل من أجل لبنان .. إلخ . وها هى القاهرة تستضيف الزعماء اللبنانيين والفلسطينيين بمختلف اتجاهاتهم لتقريب وجهات النظر بين المتحاربين . وقد وصل إليها عدد من زعماء منظمة التحرير الفلسطينية ، والإمام موسى الصدر زعيم الشيعة ، الذى كان دبلوماسياً فى تصريحاته الصحفية (راجع الأخبار القاهرية — الجمعة ١٠ - ٩ - ٧٦ ، وروز اليوسف ١٣ - ٩ - ١٩٧٦) وحاول أن يبرز أفضاله على الفلسطينيين ، ودفاعه عن الرئيس الأسد والبعثيين . كما وصل رشيد كرامى رئيس الوزراء اللبنانى . وقيل إن بيير الجميل وصائب سلام فى الطريق (١)، ويبدو أن جنبلاط لن يشترك فى هذه المحادثات فقد تردد اسمه فى الصحف ضمن القادمين ، ثم اختفى بعد ذلك(٢) ، ولعله وضع شروطا لإجراء الحوار ..

---

(١) ، (٢) وصل الجميع بعد ذلك إلى القاهرة وأجروا محادثات طويلة ، وقد وصل زعماء آخرون وكان وصولهم مساعداً على توضيح الموقف لدى حكومة القاهرة ، ومهد لاتفاق الرياض فيما بعد .

زعمـــاء فى القاهرة :

المهم أن الموقف يبدو ، وكأنه يتحرك بإيجابية على المستوى السياسى رغم اشتعال الجبهات المختلفة عسكرياً بضراوة وشراسة لم يسبق لها مثيل . والواضح أن كل طرف من الأطراف يحاول أن يحرز مكاسب، عسكرية تحسن موقفه قبل تولى الرئيس الجديد (إلياس سركيس) منصبه فى ٢٣ - ٩ - ١٩٧٦ ، وانعقاد مؤتمر القمة فى ١٨ - ١٠ - ١٩٧٦ ومحاولة التفاهم بين القاهرة ودمشق ، وزعماء لبنان المسلمين ، وإن كنا نرى أن الحركة الوطنية والفلسطينية لن تحرز مكاسب عسكرية ذات بال(١) ، قبل انسحاب السوريين أو وقوفهم على الحياد ، على الأقل .

العبرة ، وعقدة الخـــوف :

لقا أدركت الدول العربية رغم تباين مواقفها أن ما يجرى فى لبنان يحتاج إلى تحرك ما ، ولكن كيف يكون التحرك ؟ هذا ما لا يستطيع أحد أن يعرفه بالضبط . وعلينا أن نأخذ العظة مما جرى ويجرى ، ونتذكر جيداً ما نسب إلى الرئيس فرنجية فى استخلاص العبرة من الحرب اللبنانية حين قال :

« إنه بعد حرب العام ١٨٦٠ عاش المسيحيون بعقدة الخوف من

---

(١) لم يحرز المسلمون والفلسطينيون أية مكاسب ، بل كانوا الطرف الذى خسر كل شىء تقريباً منذ توقف إطلاق النار الجزئى فى أكتوبر ١٩٧٦ .

المسلمين ولكن بعد هذه الحرب الأخيرة أصبح عند المسلمين عقدة الخوف من المسيحيين ، هكذا سيخرجون من المحنة .. »

احتمالات :

إن الأحداث تتلاحق بصورة سريعة ، ولست أدرى إلى أى مدى ستصل الأمور ، بعد كتابة هذه السطور إلى أن تنشر(١) ، فقد أصبح لبنان بركاناً يقذف بحممه باستمرار ، والخوف أن يكون البركان متصلا ببراكين أخرى أشد ضراوة وشراسة واشتعالا ، ويبدو أنه يتحتم علينا أن نردد تلك العبارة الحزينة اليائسة ، التى رافقت سقوط آخر معاقل الأندلس ، واشتهرت بين الناس : « ولا غالب إلا الله ! » ولكن من الممكن إذا أردنا أن نخرج من دائرة اليأس والحزن الدامى أن نذكر قوله تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

« صدق الله العظيم »

---

(١) حتى كتابة هذه السطور فى إبريل ١٩٧٧ ، مازالت الاشتباكات عنيفة وقاسية فى الجنوب اللبنانى ، حيث يقوم المسيحيون بتصفية المسلمين والفلسطينيين على قرى الحدود ، وتقوم إسرائيل بدعم المسيحيين عسكرياً .

والأمانى التى تذاع عبر الأثير ، وتطيرها وكالات الأنباء فى كافة أرجاء الدنيا ، فما عاد للكلمة صدى ، وما أصبح للنداء ترجيع . فالقوة قد أصبحت منطق الأشياء فى أيامنا وعصرنا .. وتحولنا – رغم أننا نعيش فى القرن العشرين – إلى وحوش ضارية نحيا فى غابة يحكمها – للأسف – قانون الغاب ، وهو قانون البقاء للأقوى . وإذا كان المسلمون فى أيامنا وعصرنا يملكون كل أسباب القوة ، إلا أنهم لا يأخذون بهذه الأسباب ، ويكتفون بالهتاف أو النواح ، ويقفون فى عرض الطريق يستجدون الرحمة والعدل والإنصاف .. ولو علموا – ولا شك أن الكثيرين منهم يعلمون ولا يعملون – لأقاموا من واقعهم المستخزى واقعاً آخر ، أكثر نضارة وإشراقاً وأكبر قوة وارتقاء . وبدلا من الاستجداء وطلب العطف ، سوف يجدون الدنيا تخضع لهم ، وتعمل لهم ألف حساب ، قبل أن تفكر فى الزراية بهم والسخرية منهم وتحطيم أعوادهم الضعيفة .

ذكـــريات :

إن شهر أيلول (سبتمبر) له فى الذهن العربى المعاصر ، أكثر من ذكرى سيئة ومؤلمة ، فقد شن الملك حسين فى أيلول (١٩٧٠) حربه الشرسة والضارية ضد الفلسطينيين حيث أفنى الكثيرين منهم ، وحطم قوتهم المتصاعدة والمهددة لإسرائيل وكيانها ، وفى أيلول (١٩٧٥) كان المارون اللبنانيون يشنون حربهم الشرسة ضد المسلمين والفلسطينيين مع استغلال لبعض الأخطاء التى وقع فيها الفلسطينيون فى المرتين

المقال الثالث

أيلول .. كم أنت أسود؟!

يتساقط كل منطق يعتمد على العقل ، أمام المأساة الدامية والمروعة فى أرض لبنان ، ويبقى منطق القسوة والإرهاب والمذابح هو صاحب السيادة على أدمغة المارون اللبنانيين وحلفائهم من قادة البعث السورى النصيرى العلوى ! فلا أفلحت نداءات العروبة ، ولا أثرت روابط الدين ، ولا تقدمت وشائج الأخوة والمشاركة خطوة واحدة نحو إيقاف حمامات الدم التى يصنعها التعصب الصليبى المارونى والصلافة الغبية البعثية العلوية النصيرية !

ويبقى ما يحدث هنالك ، فى لبنان ، وصمة عار فى جبين الأمة العربية والإسلامية حيث تقاعس المسلمون حكومات وشعوباً عن مناصرة الشعب المسلم فى لبنان حتى أصبحت دياره خراباً ، وأهله مشردين ضائعين ، والبقية الباقية من المقاتلين يحاصرها العدو اليهودى من الخارج والعدو الصليبى من الداخل .

وحين نتكلم عن المناصرة ، فلا نعنى تلك النداءات والتصريحات

وكان يمكن أن تعالج بالحسنى ، ولكن القسوة المتأصلة فى أعماق بعض من يعيشون على الساحة العربية ، كانت أكبر من التسامح والغفران فقاموا بعمليات سحق ضارية وشنيعة ، وصلت إلى أسوأ مما فعله اليهود . وكان المسلمون والفلسطينيون الذين دفعوا الثمن غالياً وكبيراً وعظيما !

ماذا جرى للواقع العربى والإسلامى ؟ هل أصابته لوثة من الجنون ؟ أم أن اللعنة قد حلت بالعرب والمسلمين ، فأصبحوا هدفاً لكل زراية وسخرية وقهر ؟ أم أنه العقاب الإلهى المعجل ينزل بهم لتقصيرهم فى أداء الواجبات وطلب الحقوق ؟ أم أنهم تغيروا وخرجوا عن دائرة الدين وعاشوا فى وثنية معاصرة لا تلقى بالا إلا للمتعة ، وإشباع الغرور الفردى ؟

قد تكون الإجابة بـ (نعم) عن كل هذه الأسئلة حين نرى النتائج المؤسفة التى تحدث على الساحة الإسلامية ؛ ابتداء من الفلبين حتى السود فى أمريكا . ولكن ما يحدث فى لبنان قد أصبح فظيعاً ومروعاً ورهيباً ، وخاصة فى أيلول الراهن (١٩٧٦) أكثر فظاعة وشناعة بالتصفية الرهيبة جسدياً ومعنوياً لبقايا المدافعين من الفلسطينيين والمسلمين فى لبنان .. وحينئذ يصبح الأنين موجعاً وغائراً فى الأعماق .. ويا أيلول .. كم أنت أسود ! !

أما الرجل الأول : فهو « سليمان فرنجية » الرئيس اللبنانى الذى انتهت مدة رئاسته والتى استمرت ست سنوات حتى ٢٣ من سبتمبر (أيلول) ١٩٧٦ . ويكفيه عاراً أن التاريخ سيضعه فى صفحاته السود باعتباره « نيرون » الشرق الذى أحرق روما (بيروت) ولم يبك على أطلالها .. بل إنه كان مشغولا وسط الحريق بتجارته العريضة وثرائه الباذخ . كانت بيروت وطرابلس وصيدا تحترق بنيران الصليبيين من أتباعه ، وكان هو منهمكاً فى عقد الصفقات الرابحة فى لندن وباريس وسويسرا ، وآخرها شراء فندق « دور شستر » الشهير فى لندن بوساطة مستشاره السياسى « لوسيان دحداح » بالاشتراك مع بعض الشركاء العرب (الأهرام — ٢١ - ٨ - ١٩٧٦ ص ٤) .

ويعد « سليمان فرنجية » من كبار تجار التبغ فى لبنان (التبغ اللبنانى يباع الآن فى إسرائيل بمعرفة المارون !) ، وقصة شركة البروتين التى يشارك فيها ابنه طونى فرنجية وكميل شمعون مع شركة أمريكية ، معروفة لجميع اللبنانيين ، وقد حصلت على امتياز الصيد فى المياه الإقليمية اللبنانية بينما حرم هذا الامتياز الصيادون الفقراء فى لبنان . وقد دفع النائب (معروف سعد) نائب صيدا حياته ثمن معارضته هذا الامتياز .

إن الحديث عن فرنجية وابنه طونى لا يسر ، فكلاهما ، قد أشعل الحريق الذى لم ينطفئ حتى الآن (أكتوبر ١٩٧٦) وكل الدلائل تشير

إلى استمرار النار زمناً طويلا . ولم يستطع أى طرف أن يقول متى ستنتهى المحنة الدامية المسلسلة . وأطرف ما قيل على لسان « جنبلاط » حين سئل عن موعد إطفاء الحريق ، حيث قال : « هذا سؤال يمكن أن يجيب عليه أحد الفلكيين المصريين المعروفين .. لعله المنياوى فيما أذكر ! »

ويكفى فرنجية عاراً أيضاً ، أنه وهو رئيس جمهورية ، ويفترض فيه بحكم الدستور أن يكون حكماً بين جميع الأطراف ؛ قد انحاز بجانب المارون أصحاب المصالح والثروة ، ولم يخجل أن يكون واحداً منهم . ولم يكتف بذلك بل أظهر وقاحته وصايبيته حين قال فى خطاب الوداع يخاطب المارون قبل تسليمه السلطة إلى خليفته « إلياس سركيس » :

« سوف نحارب معاً ونموت معاً » .

إن فرنجية مازال — بعد تخليه عن السلطة — يشارك المحور انصابى الجهنمى التخطيط لسحق المسلمين والفلسطينيين ، وفقاً للخطة والمبادئ التى يسير عليها هذا المحور ، وأثبت بذلك مدى ترديه الخلقى بعد أن عرف الناس ترديه السياسى !

أما الرجل الثانى ، فهو « إلياس سركيس » الذى تولى يوم ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٦ منصباً فى دولة لا وجود لحكومتها ، وأصبح رئيساً لجمهورية لبنان لمدة ست سنوات قادمة ، ولا أحد يعلم هل ستبقى دولة بهذا الاسم فى تلك المدة ؟ أم سيكون هنالك دول أخرى بأسماء أخرى ؟ الله وحده يعلم . ولكن هذا الرجل المتدين مسيحياً على المنهج

المارونى ، والذى بدأ حياته عصامياً ، ولا ينتمى لعائلة من عائلات الإقطاع السياسى فى لبنان ، فقد حكم عليه أن يكون واحداً من ثلاثة : إما بطلا أسطورياً ، أو ضحية من ضحايا الحرب الشعواء ، أو رئيساً لدولة جديدة يصنعها المارون تحت اسم « لبنان الحر » . ومع هذا فإن المسلمين والفلسطينيين يعلقون آمالا كباراً على هذا الرجل باعتباره « البطل الأسطورى » الذى سيطفىء حريق (روما) ويبنيها من جديد بعد أن يزيح الخرائب والأطلال !

وإذا كنا شخصياً ، لا نتفاءل بهذا الرجل ، فإننا نرجو أن يكون عند حسن ظن الجانب الضعيف الذى أكلته الحرب الصليبية العاشرة ، وجعلته وقوداً فى أتونها الرهيب !

بين الهمجية . . . والتحضر :

يقولون عن « إلياس سركيس » إنه رجل منظم وسياسى مستنير ، والفارق بينه وبين سلفه « فرنجية » ، أن الأخير يمثل البدائية والهمجية ، أما « سركيس » فيمثل الإنسان المتحضر ، أو إنسان الحضارة الذى يعرف قيمة الإنسان ، ويعرف أهمية البناء والإعمار والتقدم نحو الأمام . فهو الزعيم الوحيد الذى لا يملك ميليشيا خاصة ، ولم يقم خلال الأزمة حتى الآن بأى نشاط سوى عمله كمحافظ للبنك المركزى فى لبنان ، كما أنه ينتمى إلى سياسة « شهابية » تؤمن بالإصلاح الدستورى والاجتماعى ، وقد رشحه الرئيس الأسبق « فؤاد شهاب » ليخلف « شارل حلو » ، ولكن مجلس النواب اللبنانى اختار فرنجية بدلا منه بفارق صوت

واحد ! وكان تعليق شهاب آنئذ : إن انتخاب سركيس كان سيدفع لبنان عشرات السنين إلى الأمام ، ولكن الواقع سيختلف كثيراً فى عهد « فرنجية » ، وقد صدقت نبوءة « شهاب » حيث تغير الواقع تماماً ، ولم يختلف فحسب !

إن « سركيس » المولود فى « الشهبانة » فى ٢٠ يولية ١٩٢٤ ، قد درس فى مدرسة أخوة المدارس المسيحية فى « حميزة » ببيروت ، وقد حصل على البكالوريا عام ١٩٤٥ ، وترك الدراسة وعمل فى شركة السكة الحديد ، وكافح حتى أصبح محافظاً للبنك المركزى فى لبنان قبل انتخابه رئيساً للجمهورية ، وقد أعلن عن نواياه لمواجهة الواقع الراهن والخراب ، ويتلخص فى :

١ – وقف إطلاق النار ، وإجراء حوار لبنانى فى دائرة مستديرة للإصلاح الدستورى والاجتماعى .

٢ – دعم الروابط بين المسيحيين والمسلمين ، وتحويل الولاء الدينى إلى ولاء قومى .

٣ – مساندة التعليم والثقافة القومية ، والتغيير الجذرى للنظام الاقتصادى .

٤ – من مؤيدى انسحاب القوات السورية من لبنان .

٥ – يؤمن بالحوار والاتصالات الشخصية لحل الخلافات اللبنانية المارونية مع الفلسطينيين .

وقد قال فى خطابه يوم حلف اليمين الدستورية : « إن الضرورة ملحة الآن لإعادة النظر فى أسس الحكم وأساليبه ضمن مقتضيات التطور .. » وقال : « إن الكثير من الأمور فى لبنان يتطلب التغيير ، وأن مفهومنا الحقيقى للوطن بحاجة إلى التصحيح ، فلم يعد الوطن مجموعة طوائف ، بل إننا بحاجة إلى مواجهة تحديات المستقبل » .

ورغم هذه التصريحات والنوايا ، فمازال الموقف ينحدر من سيئ إلى أسوأ ، وتتعقد الأمور ، ومازالت النار تتأجج ، وضرامها يزداد لهيباً يلفح الوجوه القريبة والبعيدة !

التسليم والتسلم :

قبل أسبوع من تنازله عن لقب رئيس الجمهورية ؛ فاجأ سليمان فرنجية العالم كله ، بتعديل وزارى غريب ، حيث أعلن عن تولى « كميل شمعون » سلطة رئيس الوزراء بالنيابة ، وسلب من « رشيد كرامى » رئيس الوزراء المسلم وزارات الدفاع والإعلام والاقتصاد بحجة تغيب رئيس وزراء لبنان الأصلى عن لبنان أو فى حالة تعذر حضوره اجتماعات مجلس الوزراء . ولأن « كرامى » موجود فى بيروت الغربية ولا يستطيع العبور إلى بيروت الشرقية التى تسيطر عليها جبهة « الكفور » الصليبية ؛ فإن كرامى لم يعد رئيساً لحكومة لبنان لأنه لا يستطيع الوصول إلى بيروت الشرقية أبداً ، وبالتالى أصبح « شمعون » الرئيس الفعلى للحكومة ووزيرها الأول .

ليس هذا فقط ما جرى فى الأسبوع الأخير من عهد « نيرون » لبنان ، بل إن شمعون صعد القتال حتى لا يستطيع « سركيس » أداء اليمين الدستورية فى مجلس النواب ، وبذلك يتاح له فى حالة عدم تسليم الرئيس الجديد لسلطاته أن يصبح هو – أى شمعون – الرئيس الأول والأوحد لجمهورية لبنان المحترقة .

وفى يوم تولى سركيس وتسليم فرنجية ، اشتد القصف على الخط الأخضر الفاصل بين بيروت الشرقية وبيروت الغربية فى منطقة المتحف الذى اتخذه ، أو أراد أن يتخذه « سركيس » مقراً مؤقتاً ليحلف فيه اليمين الدستورية .

وقد اقترح بعض النواب عقد مجلس النواب فى « شتورا » التى تبعد عن بيروت العاصمة ٤٠ كم . ونال هذا الاقتراح موافقة الأغلبية بينما رفضه النواب المسلمون والوطنيون بزعامة « جنبلاط » لأنهم رأوا فى ذلك إهانة للبنان ؛ حيث أن سورية تسيطر على « شتورا » وانعقاد هذا الاجتماع فى حماية السوريين اعتراف باحتلالهم للبنان . وقد انعقد الاجتماع فى « شتورا » رغم هذا الرفض ، وحضره ٦٧ نائباً من مجموع النواب البالغ عددهم ٩٧ نائباً . وفى فندق « بارك هوتيل » أقسم « إلياس سركيس » اليمين الدستورية ، وتسلم تركة الخراب والأطلال والحريق الذى لم يهدأ ، بينما كان « فرنجية » يستولى على أثاث القصر الجمهورى بواسطة الدبابات وينقله إلى بلدته « زغرتا » ويسلم السلاح الذى تسلمه فى أول عهده لتدعيم جيش لبنان ضد إسرائيل

إلى « كميل شمعون » والصليبيين الجدد ليقتلوا كل الفلسطينيين وكل المسلمين . وقد توقح شمعون قائلا :

« إننا نقتل العروبة فى لبنان بأسلحة العرب ! » .

انتصر .. انهزم :

لم تكن المأساة ، ولن تكون وقفا على مسلمى لبنان والفلسطينيين ، فهى مأساة كل العرب والمسلمين جميعاً ، لأنها — كما سبق أن قلت — وصمة عار فى جبين الجميع حيث تقاعسوا عن التأثير وتغيير مجرى الحوادث لصالح الإنسان المسلم والإنسان الفلسطينى ، وكلاهما مقهور ومحروم ومحاصر ! قد يقول البعض : لقد انخدعنا . إن المارون قالو إنهم يحاربون اليسار الشيوعى فى لبنان ، والتجاوزات الفلسطينية فى لبنان . والرد على ذلك بسيط ، ولا يحتاج إلى عبقرية فى الفهم السياسى والتحليل الأنثروبولوجى ، فالشيوعيون فى لبنان لا يزيدون عن بضع آلاف ، بل بضع مئات . والقضاء عليهم لا يحتاج إلى تجريد تلك الجيوش الهائلة للكتائب والنمور وحراس الأرز (جحا) وجبهة أعداء مارون وجبهة الموت لأعداء مارون . . الخ . . لقد مات فى لبنان أضعاف أضعاف عدد كل الشيوعيين فى لبنان والعالم العربى جميعاً فهل صحيح أن المارون كانوا يحاربون الشيوعيين ؟ ولماذا لم تنته الحرب؟

ثم ، إن الفلسطينيين لم يقدموا على تجاوزات تشكل تجريد هذه الجيوش وتجعل منهم مسمار (جحا) الذى يدفع المارون إلى طفح صليبيتهم الكامنة على وجه لبنان والعروبة والإسلام . فالفلسطينيون

فى مخيمات جنوب لبنان ، بل فى قلب بيروت ، تعرضوا لغارات إسرائيل وملاحقتها وقرصنتها : براً وجواً وبحراً . والدولة اللبنانية بزعامة « فرنجية » لم تصنع شيئاً لحمايتهم والمحافظة على مابقى من إنسانيتهم ، بل استخدمت سلاح العرب ، لتسليح المليشيات المسيحية الخاصة . ونشط المارون فى عقد الصفقات المشبوهة والسمسرة فى تجارة السلاح الذى يدفع ثمنه العرب ، وفضيحة صواريخ « كروتال » مازالت ماثلة فى الأذهان !

ماذا على الفلسطينيين حين يسلحون أنفسهم ويتدربون من أجل العودة إلى وطنهم الأسير ؟ ولنفترض جدلا أن الفلسطينيين زجوا بأنفسهم فى أمور الدولة اللبنانية ، فهل يقتضى الأمر أن تقام لهم المذابح وعمليات التصفية فى جسر الباشا وضبية وتل الزعتر ؟ ألم يدع الرئيس السادات فى مؤتمر الرياض عام ١٩٧٥ إلى تسوية الأمور بالتفاهم والحوار ؟ أم أن جريمة الفلسطينيين فى نظر الصليبيين المارون هى وقوفهم إلى جانب مسلمى لبنان والمحرومين ، ووقف هؤلاء إلى جانب الفلسطينيين ؟

إن المارون كانوا ومازالوا يعدون العدة منذ زمن لاقتلاع المسلمين والفلسطينيين من لبنان ، وإذا كان هذا القول مثيراً للدهشة ، فإننا نقول : إن قيام إسرائيل اليهودية كان أيضاً مثيراً للدهشة ، ولكنه أصبح حقيقة واقعة ومؤلمة . لأن العرب والمسلمين قد اكتفوا بالوقوف دائماً عند حدود الدهشة ، ولم يتحركوا إلى ما هو أبعد وأعمق ، فلم يعرفوا هدف اليهود ، ولا غرض الصليبيين .. وما زال العمى

الصليبي والصهيونى يسيطر على أذهان هؤلاء وأولئك ، ولن يستريحوا بالا حتى تخلص لهم كل الأرض العربية الإسلامية ، اليهود يكونون إسرائيل الكبرى ، والكاثوليك يقيمون الدويلات العلمانية التابعة لهم ومن بينها (لبنان الحر) الذى يضم كافة المسيحيين فى لبنان المحترق. ونحن لن نقدم أدلة أكثر من شواهد الأيام وحوادثها التى نسمع عنها ونشمئز منها ، وتقشعر لها أبداننا .

لقد اعتبر المراقبون السياسيون أن مأساة لبنان عام ١٩٥٨ ، قد انتهت بصيغة لا غالب ولا مغلوب ، وأنه ينبغى أن تنتهى هذه المأساة فى عام ١٩٧٦ أو حتى ١٩٧٧ بنفس الصيغة ، ولكننا نرى أنها انتهت — رغم اشتعال الحريق — بصيغة : المارون هم الغالبون ، والفلسطينيون هم المغلوبون — لماذا ؟

تعددت الأسباب . . والموت واحـــد !

الأسباب عديدة ، وقبل أن نذكرها قد يرى البعض أن الكل أو جميع الأطراف مهزوم فى هذه الحرب الضروس (شفيق الحوت فى الأهرام ٢٤ - ٩ - ١٩٧٦) ورغم وجاهة هذا الرأى إلا أننا نود أن نورد أيضاً تحليلا للإمام « موسى الصدر » زعيم الشيعة ، فى لبنان ، حول المأساة :

« الواقع الذى لا يقبل الشك أن الأمور إذا تركت ، كما هى ، فالفاجعة ستصل إلى حدود خرافية . ويكفى أن نعرف أن ضحايا هذه

الحرب وخسائرها المادية والمعنوية والسياسية فاقت جميع حروبنا مع إسرائيل منذ سنة ٤٨ . وإذا تركت الأزمة تتفاقم فسوف تغرى القوى الكبرى لكى تضع قدمها فى لبنان !

وبوضوح نقول : إن المنطقة الغربية من بيروت وجنوب لبنان « يسيطر عليهما المسلمون » تغرى الاتحاد السوفييتى وحلفائه لكى يصنعوا منها « أنجولا » جديدة ، وخصوصاً أن الاتحاد السوفييتى بعد أن فقد مواقعه فى مصر وبدأ يخسر هذه المواقع فى العراق سيما بعد صفقة السلاح الأخيرة مع فرنسا . والاتحاد السوفييتى يشعر أنه على وشك ترك أبواب المنطقة نهائياً ، وهو لا يريد ذلك ، ولنتذكر أن أسلحة الكتلة الشرقية دخلت إلى لبنان أخيراً . أما المنطقة الشرقية (جبل لبنان) فعلاقاتها مع فرنسا وأمريكا وإيطاليا قديمة ، وقد اعتمدت على المساعى السورية .

أيضاً مطامع إسرائيل فى جنوب لبنان جعلها تستغل الانهيار الاقتصادى وبدأت تتسرب إلى الجنوب ، ثم هناك المقاومة الفلسطينية التى ساهم كل مخلص لتنميتها ، حتى دخل أبو عمار الأمم المتحدة ليصفق له كما لم يحدث لأحد قبله . المقاومة لو أعطيت قطاع غزة وسيناء والضفة الغربية تشكل خطراً فى رأى بعض القوى على إسرائيل لقد بلغت الخسارة فى المقاومة ٦٠ ٪ من كوادرها » .

ويمضى « موسى الصدر » فى تحليل أسباب المحنة الدامية قائلا : « .. لبنان كان يعيش الإقطاع السياسى ، وسبب هذا – رغم أننى

رجل دين(١) ــ هو الطائفية ، لأن الطائفية تلبس ثوب القداسة على الاقطاعى ، هكذا بالحرف دون مبالغة : الطائفية السياسية فى لبنان تحمى الإقطاع السياسى ، والإقطاع السياسى تطور تطوراً لبنانياً نادراً فى العالم . بدأ من البيوت .. بيت الطيبة ، وبيت المختارة ، وبيت طرابلس بيت فلان .. وفى بيروت القبضايات (الفتوات) .. أصحاب الكباريهات والأفلام الممنوعة والدخان المهرب ، وبيوت الفساد ، كانوا محميين من قبل الزعامات .. هؤلاء كانوا يحاولون ، والزعيم كان يحمى مصالحهم ، وهم كانوا يضمنون انتصار الزعيم فى الانتخاب . فى الحقيقة : الإقطاع السياسى (المودرن) فى لبنان ؟ هو الأحزاب المسلحة التى تستغل الطائفية أيضاً ، وهكذا نجد الشيوعى يقول والإسلاماه وهو مسيحى !! رئيس الحزب الشيوعى اللبنانى رجل اسمه « جورج حاوى » ، فكان فى منطقة البقاع يتحدث عن حماية الشيعة !! إقطاع متطور ! .. »

ورغم الموقف العملى للإمام الصدر والشيعة فى لبنان بانضمامهم للبعث السورى . وإخلاء النبعة مجاناً ، ونكوصهم عن مؤازرة المسلمين السنة والدروز والفلسطينين ، فإن تحليله لأسباب وواقع المحنة الدامية

(١) لا أدرى لماذا استخدم الإمام الصدر هذا الوصف « رجل دين » والإسلام يرفض هذه التسمية تماماً : فالإسلام يعرف فقط « علماء الدين » الذين ينسحب عليهم ما ينسحب على بقية خلق الله من المسلمين . أما رجال الدين فنى أديان أخرى غير الإسلام .

يعد تحليلا قوياً وجيداً ، إلا أن الأحداث اليوم – وخاصة بعد معارك الجبل التى شنتها سورية فى آخر أيلول ١٩٧٦ – تنبئ عن هزيمة قاسية ، وإن لم تكن ساحقة للمسلمين والفلسطينيين ، وأن المارون بفضل سورية قد أحرزوا مكاسب كبيرة على الصعيد العسكرى ، سوف يتبعها بالضرورة ، مكاسب على الصعيد السياسى ، فيما لو انعقد مؤتمر مائدة مستديرة .

فما هو السبب فى تحقيق انتصار المارون ، وهزيمة المسلمين ، والفلسطينيين ؟

أسباب بسيطة :

إن السبب ، أو مجموعة الأسباب بسيطة للغاية :

أولا : أن المارون خدعوا العالم العربى والإسلامى بأنهم يحاربون اليسار الشيوعى والنفوذ السوفييتى ، واستطاعوا بذلك أن يكسبوا عطف كثير من الدول العربية والإسلامية .

ثانيها : أن المارون تحركوا من منطلق واحد ، هو اقتلاع الفلسطينيين والمسلمين ، وإخماد أى رغبة لدى الأخيرين فى الإصلاح وطلب المساواة والعدالة الاجتماعية والسياسية .

ثالثها : أن المارون كانوا يعرفون هدفهم جيداً ، وهو إقامة الدولة المارونية الخالية تماماً من المسلمين والفلسطينيين ، أو السيطرة على

لبنان كله دون مشاركة من أحد فى شئون السياسة أو الاقتصاد ، ومن ثم ، كان سلوكهم العملى يتسم بالنضج والاتزان (قيادة موحدة — مثابرة فى ميدان القتال — التدريب المستمر — الحصول على السلاح من كافة المصادر ، وإسرائيل مصار أساسى لهم — خداع العالم عن الهدف الأصلى — التفريق بين الجبهة المعادية ، وبث الفتنة فى صفوفها) وهو نضج واتزان بمقياسهم ومقياس المحالدة فى ميدان الصراع .

رابعها : تشرذم الجبهة الإسلامية وتعدد أحزابها وقياداتها (جبهة الحركة الوطنية بقيادة جنبلاط — الفلسطينيون بقيادات شتى : عرفات أحمد جبريل ، نايف حواتمة ، جورج حبشى — الناصريون بقيادة كمال شاتيلا ، السنيون التقليديون بقيادة كرامى ، صائب سلام ، اليافى ، حسن خالد ، تقى الدين الصلح — الشيعة بقيادة الإمام الصدر وكامل الأسعد — الدروز — جيش لبنان العربى — جبهة ريمون إدة .. إلخ) .

وكل هذه القيادات والجبهات لم تتوحد فى جبهة واحدة ، وإن كان المارون يحاربونهم على أساس توحدهم وعدائهم جميعاً . ولقد أفرز الواقع المرير تصرفات خاطئة وعديدة ، ولم يبق فى الساحة سوى جنبلاط والفلسطينيين ، مع العلم أن جبهة جنبلاط (الحركة الوطنية) تضم ١٤ حزباً !

خامسها : تورط سورية فى القتال على أساس من الخديعة المارونية والغرور البعثى . لقد وصل الخيال بقيادة البعث السورى إلى تصور

احتوائهم للمارون والحلول مكان فرنسا بالنسبة لهم ، فإذا بهم ، يتورطون فى حرب قاسية ، ليس ضد المارون ، ولكن ضد المسلمين .

وإذا كان التاريخ يحكى عن علاقة بين العلويين النصيريين ، وبين المارون فى موازرة قادة الحروب الصليبية فى القرون الوسطى ، فإن التاريخ الحديث لا يستبعد تلك العلاقة الراهنة ، وخاصة إذا عرفنا أن فيلسوف حزب البعث هو « ميشال عفلق » الذى يتلقى التعاليم والبركات من « الفاتيكان » ، والذى نادى بالقومية العربية من أجل الوحدة العربية ، ولتمزيق الوحدة الإسلامية وطمس معالمها وبث الشقاق بين شعوبها . وتحولت القومية العربية من مبدأ للتوحيد إلى مبدأ للتمزيق والشعوبية ، فقد تحرك الأكراد والبربر والدروز ، ثم اليهود والمارون ، كل يطالب بنصيبه على الأرض العربية الإسلامية .. وإذا كان المجال هنا لا يسمح بالاستطراد ؛ فإننا نركز على السقوط فى شراك الموارنة الخادعة ، والتى جعلت من دولة عربية مسلمة تقوم بمذابح ضد المسلمين والفلسطينيين على أرض لبنان ، وتعتبر هذا بطولة ما بعدها بطولة ! بينما أرضها محتلة بيد اليهود فى الجولان !

سادسها : نكوص العالم الإسلامى عن مناصرة المسلمين والفلسطينيين فى لبنان بطريقة جادة ورادعة للمارون وحلفائهم . ومن ثم ، فقد استطاع الموارنة تحقيق أهدافهم بكثير من السهولة ، وبأقل التكاليف وبأفظع الخسائر فى الجانب الإسلامى الفلسطينى . ولنقرأ هذا الحوار بين مسئول عربى مسلم ، وبين « كمال جنبلاط » لنرى إلى مدى وجهل سوء التفكير ببعض المسلمين :

• قال حافظ الأسد رئيس سورية العربية المسلمة لكمال جنبلاط :

– لن نسمح لكم أن تتغلبوا على الانعزاليين أبداً .

فقال له جنبلاط :

– إنهم أعداء العروبة والإسلام !

قال الأسد :

– هذا لا يمنع من أننا سنمنعكم بالقوة من أن تنتصروا على الانعزاليين)
مجلة الإذاعة والتليفزيون – ٢ - ١٠ - ١٩٧٦ .

إننا نقول بأن المسلمين قد خسروا معركة لبنان ، وأن المارون قد كسبوها ، والخسارة كانت بأيدينا ، والكسب كان يمكن أن يكون ، بأيدينا أيضاً . فهل نتعظ بفعل الحوادث ؟ ربما ..

يستطيع المسلمون أن ينتصروا ويحققوا كثيراً من الانتصارات ، ويمكنهم أن يحجموا المارون ، أو يعيدوهم إلى حجمهم الطبيعي على الأقل ، ولكن متى ؟ حين يملكون أسباب الحركة الصحيحة ؟ من جد واتزان ونضج في التفكير يغلب المصلحة التاريخية على نزوات الغرور والفردية وضيق الأفق ! وحينئذ تختفي من قاموسنا الإسلامي ، أفعال مثل : انكسر ، وانهزم ، واندحر ، وانسحب ، وانتكس .. إلخ ، وتحيا أفعال مثل : انتصر ، وارتقى ، وأخاف ، وأرهب .. إلخ أيضاً .

خدع يخدع .. وانخدع فهو مخدوع :

ساعة كتابة هذه السطور طالعتنا صحيفة « الأخبار » القاهرية ، (١٨ - ١٠ - ١٩٧٦) برسالة لمراسلها الخاص فى بيروت يشرح فيها مخطط الحزب الصليبى الشيطانى المارونى ، والذى أقسم زعماؤه على تنفيذه مهما كانت الضغوط العربية — وقبلها بأيام قرأنا شيئاً عن هذا المخطط على لسان جنبلاط فى « الأخبار » أيضاً ، وقد أوضحت الصحيفة أهم بنوده ، وأوضحت أن جنبلاط يحمله فى جيبه ، وقد أشر عليه بأنه متفق عليه من كافة أطراف الفريق الانعزالى ، ونورد هنا هذا المخطط ببنوده الستة عشر ، وهى :

١ — العمل على إظهار الحرب بأنها حرب بين اللبنانيين والفلسطينيين وليس بين اللبنانيين أنفسهم من أجل إصلاحات سياسية ، أو سواها .

٢ — إظهار الوجود الفلسطينى فى لبنان بأنه متكأ للنفوذ السوفييتى فى المنطقة وأداة عملاء الرئيسية فى المنطقة ، وذلك لإثارة نقمة الدول العربية المحافظة ..

٣ — عدم التعامل إلا مع قيادة فلسطينية من نمط معين وذلك كشرط لاستتباب الأمر مع الفلسطينيين على المدى الطويل ، وطرح هذا الموضوع من وقت لآخر لبذر الشقاق بينهم .

٤ — التفريق بين السنة والشيعة ، والتفريق بين السنة والفلسطينيين باعتبار أن السنة هم السند الرئيسى للفلسطينيين .

٥ ـ العمل من أجل تحقيق التقسيم ولكن فى إطار دولة لبنانية اتحادية وذلك حفاظاً على امتيازات الموارنة .

٦ ـ التحسب للتسوية السورية الإسرائيلية التى ستبدأ فى الظهور إلى حيز التنفيذ .

٧ ـ جعل تسليم إلياس سركيس موقوفاً على الإبقاء على المكاسب المارونية العسكرية خاصة ، والسياسية عامة ، التى تم الحصول عليها خلال الأزمة ، ووضع سركيس فى هذه الصورة ومنع استلامه الرئاسة إذا امتنع عن التجاوب مع هذه السياسة . ثم يجب العمل على منع سركيس من زيارة المنطقة الغربية (فى بيروت طبعاً) وإجراء اتصالات فيها قبل تفاهمه مع السوريين وقبل انعقاد مؤتمر القمة العربية (من المقرر عقده فى ١٨ ـ ١٠ ـ ٧٦) .

٨ ـ لا وقت للقتال قبل اشتراك الدول الأوربية ـ يحسن فرنسا ـ فى صورة ردع لضمان التصدى لسورية إذا غيرت سياستها أو إذا وقع انقلاب ضد الأسد .

٩ ـ لا تفاهم مع الحركة الوطنية ـ المسلمين ـ ولا حوار مع أحزابها . يمكن قبول بعض أقطابها بصورة شخصية ، ومن إطار السياسة التقليدية .

١٠ ـ جعل جيش لبنان وقفاً على المسيحيين ، وجيش لبنان العربى وقفاً على المسلمين والعمل على شرذمة ـ تجزئة ـ هذا الأخير بواسطة سورية ، ثم يقتضى الأمر تشجيع سورية فى بناء طلائع الجيش العربى

اللبنانى ، لكى يقوم بدور بعد استلام سركيس على أن يتم التنسيق بينهم وبين جيش لبنان (المسيحى طبعاً) .

١١ - لا حوار ولا مائدة مستديرة إلا بعد مجئ قوة الردع الأوروبية .

١٢ - يجب العمل على مماطلة العرب وتعجيزهم وصولا إلى إقناعهم برفض العنصر الفلسطينى كشرط للتسوية النهائية .

١٣ - جعل الدامور (مسقط رأس شمعون) « كانتون » (ولاية مستقلة) لضمان وجود عسكرى أوربى .

١٤ - هناك احتمال قوى لعمل عسكرى إسرائيلى فى الجنوب . يجب تحضير الرأى العام لتقبل هذا العمل والخسائر التى قد تنجم عنه ، ووضع اللوم على الفريق الآخر .

١٥ - تعبئة الطوائف المسيحية والسماح لكياناتها المستقلة فى الظهور والنشاط لوجود عناصر أيديولوجية معادية فى صفوفها ، وفى كل الأحوال منع تعاونها مع المسلمين .

١٦ - مكافأة الأرمن على موقفهم بتشجيعهم على إقامة « كانتون » لهم فى « عنجر » وآخر فى « نهر الموت » .

ولا يخفى على أى متتبع للأحداث فى لبنان أن يرى أكثر هذا المخطط وقد نفذ بصورة أو أخرى . ويستشف مدى الخداع أو الخديعة التى

انطلت على كثير من الدول العربية والإسلامية ، ويعرف مدى الخبث والحقد الذى يكنه الصليبيون الجدد للعروبة والإسلام ، ويعلم مدى إصرارهم على تقسيم لبنان ، وإقامة الدويلات التى تتيح للاستعمار الصليبى الغربى العودة من جديد إلى المنطقة لحماية الكانتونات (الولايات المستقلة) التى يريدون إنشاءها فى الدامور وعنجر ونهر الموت ... وغيرها .

والغريب أن التحذير من مثل هذه المخططات كان يوصف لدى أهلنا وكتابنا بالتعصب والانفعال وعدم الواقعية . فأى تعصب وأى انفعال وأى خيال أمام هـــذه المخططات التى أصبحت حقائق واقعة ؟

لقد خدع المارون العرب ، وانخدع العرب فهم مخدوعون ، ويبدو أنهم سيظلون كذلك لوقت طويل ! وإلا فما هو سر ذلك العجز الرهيب والكسل الكئيب على جبين الساحة العربية ؟

معارضة : حقيقية أم مصنوعة ؟

يعتقد بعض العرب أنه يمكن أن تكون هنالك جبهة معارضة حقيقية داخل الحلف الصليبى المارونى . وقد يكون هذا صحيحاً وربما لا يكون ، لقد سمعنا عن شخصية « حميد فرنجية » شقيق سليمان فرنجية ، وعرفنا أن هذه الشخصية تتميز بالوطنية والولاء للعروبة ، ولكن شتان بين حميد وسليمان . ولكليهما ولد يمثل موقف أبيه : « سمير » الذى أنشأ

جبهة المسيحيين الوطنيين ، و « طونى » الذى يقود جيش « زغرتا » الموحد ليحمى مملكة أبيه « سليمان » !

وقد نشرت صحيفة « الرأى العام » الكويتية حقائق عن موقف الجبهة التى تشكلت بقيادة « سمير حميد فرنجية » فى « جونية » ، وقد جاء فى عدد الصحيفة الصادر يوم ١٤ - ٩ - ١٩٧٦ ما يلى :

(أنشئت مساء أول أمس ، جبهة المسيحيين الوطنيين ، عقب مؤتمر تأسيس عقد خلال نهاية الأسبوع فى جونية – على بعد ٢٠ كم شمال بيروت . وتهدف هذه الجبهة التى تتألف من مسيحيين تقدميين ذوى ميول واتجاهات مختلفة : شيوعيين وبعثيين ومستقلين ومسيحيين ملتزمين إلى مكافحة فكرة تقسيم لبنان والاحتلال السورى والعمل على إقرار نظام حكم وطنى ديمقراطى علمانى . وقد انتخب هذا المؤتمر هيئة تنفيذية تضم ١٣ عضواً يمثلون كل مناطق لبنان ، وقد قرر المشتركون فى المؤتمر توجيه نداء إلى البابا ، وكل المسيحيين فى العالم بشأن الموقف فى لبنان .

كما قرروا أيضاً تدبع مسألة عودة سكان الدامور – ١٥ كيلومتراً ، جنوبى بيروت إلى ديارهم ، وكانت القوات الفلسطينية ، قد دمرت مدينة الدامور تماماً فى كانون الثانى (يناير الماضى) انتقاماً من القوات المحافظة التى استولت على الأحياء الفقيرة فى « الكرنتينا » – المخرج الشمالى لبيروت . وقد قبل « المجلس السياسى المركزى الفلسطينى التقدمى »

كل الزعماء اللبنانيين ، من كافة النوعيات وصلوا إلى القاهرة ، وقالوا كلاماً طيباً : سركيس - كرامى - جنبلاط - حسن خالد - موسى الصدر - تقى الدين الصلح - عبد الله اليافى - صائب سلام - ريمون إده - بيار الجميل ، بالإضافة إلى فاروق قدومى ، وغيره من الزعماء الفلسطينيين ، ولكن النار ما زالت مشتعلة . حكى كل منهم عن المأساة . وانفتحت لهم صفحات المجلات والدوريات اليومية وقالوا كل ما عندهم . إلا أنهم فى النهاية - لست أدرى لماذا ؟ - يحملون خلاف مصر وسورية ، مسئولية استمرار الصراع ، وقد أجاب الرئيس السادات فى غرفة العمليات خلال الاحتفال بعيد العبور (أكتوبر ١٩٧٦) عن هذا الموضوع قائلا :

- وهل نحن الذين قلنا للأسد أن يدخل بجيوشه إلى لبنان ؟

إن الزعماء اللبنانيين معذورون فى تصورهم هذا . فهم كالغريق الذى يتعلق بالقشة ، وإن كان معظمهم قد شارك فى إشعال النار عن عمد أو تقصير أو تخاذل أو اكتفاء بغنائم شخصية أو تورط غير محسوب !

وحتى الآن ، ورغم اتجاه القاهرة نحو التعاون مع فرنسا - سافر وزير الخارجية المصرى إلى باريس ، لحل الأزمة وتطويقها ، فإن شمعون وحلفه الجهنمى وسورية لم يعبأوا بهذه المبادرة ، بل إنهم فى كل يوم يصعدون القتال بصورة رهيبة ، وقد حدثت المأساة

بسقوط الجبل اللبنانى فى أيدى المارون والسوريين ولم يبق سوى جيوب تستعد سورية والمارون إلى اقتحامها وتصفيتها تماماً قبل حلول مؤتمر القمة فى ١٨ أكتوبر ١٩٧٦ .

أما الجامعة العربية فما زالت مستمرة بواسطة مبعوثيها وممثليها فى لبنان ودمشق والقاهرة تقوم بمحاولات من أجل وقف نزيف الدم ، ولكنها لم تفلح ، بل إنها خسرت شهيداً واحداً من القوة العربية الموجودة فى لبنان مع إصابة تسعة وعشرين جريحاً ! وفشلت محاولات إنجاح مؤتمر « شتورا » وتتوالى كل يوم تصريحات البعث والمارون عن قتل الفلسطينيين وسحقهم وتصفيتهم تماماً . إن كل ما فعلته الجامعة العربية فى هذه المحنة هو قبول فلسطين عضواً كاملا فيها . أى أصبحت العضو رقم « ٢١ » فى تلك الجامعة المترهلة ، والتى تتحرك دائماً كآخر من يعلم ولا يقدر ! لقد وصفت صحيفة « الإيكونومست » البريطانية قرار قبول فلسطين عضواً كاملا فى الجامعة بأنه تعزية أو هدية عزاء للفلسطينيين ! وقالت الإيكونومست إن قرينة السخرية فى الجامعة معروفة بشكل واسع . وبسبب هذه السخرية فإن قوات السلام المشتركة التى أرسلتها إلى لبنان ، والوسطاء من دبلوماسييها ، لم يتمكنوا من التأثير فى هذا الواقع الدامى ! ولقد بلغت هذه السخرية أبعاداً أعمق عندما قدمت الجامعة لمنظمة التحرير الفلسطينية خلال الأسبوع الماضى (أوائل سبتمبر ١٩٧٦) جائزة تعزية : عضوية كاملة فيها » !

وتظل كل الرحلات متواصلة عبر دمشق ـ القاهرة ــ والعودة !

العبرنة .. أو الاتحاد الكونفيدرالى :

العبرنة ، هى البلقنة ، هى التقسيم . والعبرنة نسبة إلى الدولة العبرية اليهودية أو « إسرائيل » . ومفهومها العملى تحويل المنطقة إلى دويلات صغيرة تقف وسطها الدولة العبرية رائدة وقائدة وحامية ! وتعنى العبرنة عندئذ تحويل لبنان أولا إلى « لبنان الحر » ثم إقامة دويلة للدروز ، فدويلة للعلويين ودويلة للسنيين ، ودويلات أخرى على اتساع المنطقة وتعدد طوائفها وعناصرها (راجع المقال الأول) وبعدئذ يضمن المارون قيام دولتهم ، وانتهاء « كفاحهم » بالنجاح فى تحرير « لبنان الحر » أو إسرائيل الثانية !

هذا ما يسعى إليه المارون بكل قوة وإخلاص !

أما إذا لم ينجح سعيهم ، ويكلل بالتوفيق ، فاتحاد كونفيدرالى يضم دويلة ذات استقلال ذاتى يحافظ على مكاسب المارون العسكرية والسياسية وامتيازاتهم الطائفية . بينما يرى السوريون أن الاتحاد الكونفيدرالى يهدف إلى احتواء المارون والسيطرة على لبنان مع الأردن ومنظمة فلسطينية هزيلة ذات قيادة يرضى عنها البعثيون والمارون .

ولسنا ندرى رأى الملك حسين فى كل ما يجرى ، اللهم إلا تأييده لسورية بالسلاح والعتاد والكلام .

وإذا لم ينجح التقسيم أو الاتحاد الكونفيدرالى ، فما الحل ؟ السوريون

مقتنعون بمعاهدة أمن بين سورية ولبنان ، تطلق يد سورية فى لبنان عليه لحماية المارون (! !) ويتم ذلك بالطبع بعد القضاء على القوات الوطنية والفلسطينية ، وإعادة الفلسطينيين إلى المخيمات وبشروط مهينة ، تقضى على ما تبقى لهم من كرامة وكبرياء ! هذا هو الاحتمال الثالث بعد احتمالين . . وكلها احتمالات سود !

اسرائيل : المتفرج يكسب أكثر :

خسر الفلسطينيون والسوريون والمسلمون ! ولم تخسر إسرائيل . اكتفت فقط بالفرجة وانتظار الأخوة الأعداء يقتل بعضهم بعضاً دون أن تطلق رصاصة واحدة ! إنها تمد الطرف المارونى الصليبى بالدبابات « شيرمان » وقطع الغيار ، وتدرب مقاتليه ، وعند الحدود تفتح النقاط الطبية والتجارية ، فتعالج الجرحى من المارون ، وتشترى التبغ ، وتستورد عمالا لمصانعها ، وفى بعض الحالات يدخل الإسرائيليون إلى الجنوب لمساعدة المارون عسكرياً ، ولمواجهة المسلمين والفلسطينيين ، بينما الجيش السورى بعيد عن الجولان ، ويستعد للجولة الأخيرة للهجوم على « عاليه » مقر القيادة الوطنية الإسلامية والفلسطينية والهجوم على « صيدا » آخر معقل للمدافعين المسلمين ! والجيش اللبنانى الرسمى بقيادة « حنا سعيد » يقرر الانضمام إلى جبهة « الكفور » نهائياً ، وسورية تشكل طلائع الجيش العربى اللبنانى ليتنافس ويتقاتل مع جيش لبنان العربى والفلسطينيين . . فماذا بعد ؟ الله وحده يعلم !

إحصـــائيات !

• ١٢,٠٠٠ رجل ، قوات الجيش اللبنانى الرسمى بقيادة العماد حنا سعيد تشرذمت ، وانضمت أغلبيتها إلى الجبهة الصليبية .

• ١٥,٠٠٠ رجل ، قوات المارون الصليبيين مقسمة إلى وحدات خاصة (كتائب - أحرار - جحا - .. إلخ) .

• ٠٤,٠٠٠ رجل ، ، قوات وطنية (جنبلاط) مسلمون سنيون ودروز وناصريون و .. غيرهم .

• ٠٦,٠٠٠ رجل ، قوات فلسطينية ، وتوجد فى الجنوب وبيروت

• ٤٠,٠٠٠ رجل ، قوات سورية (وهذا متوسط التقديرات المتضاربة) اشتركت فى المعارك بجانب المارون طبعاً .

• ٧٠٠ دبابة ، سورية اشتركت فى المعارك (حسب المتوسط) .

• ٥٠,٠٠٠ قتيل ، من جميع الأطراف (حسب المتوسط أيضاً) .

• ٣٠٠,٠٠٠ جريح ، من جميع الأطراف (حسب المتوسط أيضاً)

• ٧٥٠,٠٠٠ لاجئ ، خارج لبنان .

• ١,٠٠٠,٠٠٠ دولار ، نفقات القوات السورية يومياً على الأقل .

• ٨٠,٠٠٠ ميل مربع ، مساحة الدولة المارونية المقترحة ، من الباب الأخضر حتى أبواب طرابلس فى الشمال .

• ١٦٠ مم ، ١٠٧ ، تى ٦٢ برمائية ، ١٠٦,٧٥ مم ، جراد — كاتيوشاً — هاون . أرقام وأعيرة وأسماء لأسلحة الهجوم السورى المارونى .

هذه الإحصائيات تقريبية ، وحسب المتوسط ، فى الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٧٦ ، وقبيل انعقاد مؤتمر الرياض والقمة فى خلال هذا الشهر .

أمنية ..

مهما كان الحديث ، وكانت الأحداث ؛ فإن المؤكد أن الموقف بيدنا نحن العرب والمسلمين ، وسبيلنا إلى تجاوز كل المحن : هو التوحد قلباً وقالباً ، مع ترك الأنانيات ونزغات الشياطين فى الداخل والخارج ، والتفوق على التخلف والجهل والقهر ، وتحطيم الأغلال التى تمنع المسلم من الانطلاق فى جد ونشاط وبهجة نحو القوة والحضارة والعدالة الإنسانية ..

فهل تتحقق هذه الأمنية ؟ .. لعلها .. يارب حققها .. آمين .

المقال الرابع

الألم .. والأمل

مؤتمران .. ثم ماذا ؟

فى أكتوبر ١٩٧٦ ، توصل الوسطاء العرب وغير العرب إلى :

١ – مؤتمر مضيق للقمة العربية ، يضم مصر وسورية والسعودية والكويت والأردن ولبنان والمقاومة الفلسطينية ؛ انعقد فى « الرياض » وكانت أهم قراراته : وقف إطلاق النار فوراً فى لبنان ، وتكوين قوة ردع عربية من عدد من الدول المقبولة لدى الأطراف المعنية فى الحرب وتشرف عليها جامعة الدول العربية ، وتشكيل لجنة رباعية من مصر وسورية والسعودية والكويت ، تشرف على تنفيذ قرارات المؤتمر وقوة الردع .

٢ – مؤتمر موسع للقمة العربية يضم كافة الدول العربية ، انعقد فى القاهرة – ويناقش تفاصيل ما اتفق عليه فى الرياض ، بالإضافة إلى مناقشة الدعم الذى تتطلبه فترة ما بعد وقف إطلاق النار للبناء والإعمار

وقد انعقد المؤتمر بنجاح . ولم يصدق الناس أن العرب يمكن أن يتفقوا بين عشية وضحاها . بل فى دقائق – كما عبر الرئيس السادات عن إنهاء الخلاف مع الرئيس الأسد فى الرياض – فماذا بعد ؟

استمر الطرف الصليبى فى وضع المعوقات والعقبات فى سبيل وقف إطلاق النار التام ، وراح يفرض شروطه بحكم مكاسب عسكرية فى أكثر من قضية : نزع السلاح – الجنوب – تشكيل الوزارة – المائدة المستديرة . بل إننا رأينا بعض قادتهم يرفضون ما صدر عن المؤتمرين ، ويعلنون إصرارهم على مواصلة القتال ، وتشكيل عصابات مقاتلة ، حتى يتم تحرير لبنان (!!) ، وقد قال « إيتيان صقر » قائد جبهة حراس الأرز (جحا) ، ويسمونه « المعتصم » لاعتصامه بالجبل ، وتيمناً باسم الخليفة المسلم المعتصم العباسى فاتح عمورية وقاهر الرومان . قال « المعتصم » المسيحى أو « أبو أرز » كما اشتهر ، بعد الهدوء النسبى الذى بدأ يسود لبنان .

« الحرب لم تنته بعد ، وأنا أعتبر أننا فى نهاية البداية » – الصياد ٢٥ - ١٠ - ١٩٧٦ أما « بشير الجميل » فقد أطلق تهديده المقنع وقال إن عام ١٩٧٧ إما دعم للسلام أو استئناف للقتال . ناهيك عن الشعار المحموم الذى ينطلق عبر تصريحاتهم ضد كل ما هو مسلم وعربى وفلسطينى ، ووصف القضية الفلسطينية ، بأنها قضية تسول ، وأنها قضية كاذبة (!) – الصياد ٢٥ - ١٠ - ١٩٧٦ .

إنهم يعتبرون المناطق التى تم سحق المسلمين والفلسطينيين فيها ، مناطق محررة (!!) وأنها أرض لبنانية عادت إلى السيادة اللبنانية ، وقد وقر فى أذهانهم اصطلاح العروبة ، والعرب كمرادف للإسلام والمسلمين ، واللبنانية ولبنان كمرادف للمسيحية والمسيحيين . ويمكن للمرء تفسير ذلك الهجوم المحموم على الفلسطينيين ، ومحاولتهم جعل القضية بين الفلسطينيين واللبنانيين ، وليست بين اللبنانيين المسلمين والمسيحيين بالدرجة الأولى .

لقد بلغ إصرارهم على التعويق وإملاء شروطهم — بوصفهم المنتصرين — درجة أن الرئيس الجديد « سركيس » وهو مارونى منهم لم يستطع أن يعطى ضمانات للرؤساء والملوك العرب فى الرياض ، وقد جرى هذا الكلام فى مؤتمر الرياض :

قال السادات :

فى الأمس اضطرت الأنظمة العربية إلى التعامل مع أهواء فرنجية وغداً قد نضطر للتعامل مع أهواء كميل شمعون آخر . والآن — يوجه حديثه لسركيس — أمامنا أنت . رجل طيب وابن حلال ، ولديك العديد من الجنود تحت تصرفك ، ومع ذلك ، فإنك لا تريد أن تعطى أى ضمانة ، وهذا ليس منطقياً .

ولكن « إلياس سركيس » تمسك بموقفه ، وقال ، إننا نركز حديثنا على إقامة سلطة لبنانية ، والرئيس اللبنانى شخصياً لا يستطيع

أن يعطى ضماناً لأحد ــ مجلة « إيفنتس » ، نقلا عن « القبس » الكويتية ١٥ - ١٢ - ١٩٧٦ .

ومن هنا نستطيع أن نفهم قول « بشير الجميل » القائد العسكرى للكتائب : « .. وإن لم نتوصل إلى التوحيد ــ بمفهوم المارون طبعاً ــ لن نقسم ، بل سنحرر كل لبنان ، غير عابئين بموازين القوى الدولية والعربية ، وبمن ضدنا ومن معنا ، ومن هنا لا يمكننا أن نقبل بإلقاء السلاح » ــ « الأنوار » ١٣ - ١٢ - ١٩٧٦ .

ولعل التطبيق العملى لاستهتارهم بكل القوى والموازين إقامة مباراة رياضية بين فريق الكتائب اللبنانية ، وفريق القوات الإسرائيلية وقد فاز فريق الكتائب اللبنانية بهدفين مقابل لاشىء . وقد أقيمت المباراة فى قرية « معلوت » عند الحدود اللبنانية الإسرائيلية ، ونشرت عنها صحف إسرائيل . « راجع مجلة « أكتوبر » ــ العدد ١٥ - ٦ - ٢ - ١٩٧٧ » ، فضلا عن التبادل التجارى مع إسرائيل فى تجارة « التبغ » والتعاون الطبى لإسعاف مصابيهم وجرحاهم ، وقبل كل ذلك التعاون العسكرى الذى ذاع وشاع وتحدث عنه العالم كله !

ورغم أن الأمة العربية من أقصاها إلى أدناها ، تعتبر ما تم فى المؤتمرين إنجازاً كبيراً أوقف المذبحة التى قادها الصليبيون الجدد ضد المسلمين والفلسطينيين فى لبنان . ورغم الألم الذى تركته هذه المذبحة فى النفوس بالأسى المروع ؛ فإن العروبة قرينة الإسلام ــ كما يعتبرها الصليبيون ــ مازالت ترى أن إفراغ المخ الصليبى من تعصبه وتهوره

وحقده ، هو الطريق الوحيد ؛ للعيش تحت رداء السماحة الإسلامية الفضفاض الذى أظلهم ، وأظل غيرهم من أصحاب الملل والنحل أربعة عشر قرناً . ورغم افتراءات « بيار الجميل » ضد الإسلام والمسلمين ، وضد التاريخ أيضاً ، حيث يقول : « ولما كان الاستقلال يومها أدركنا أن إخواننا المسلمين لم يعودوا متعصبين دينياً ؛ كما كانوا أيام العثمانيين .. » — الصياد — ٣١ - ٣ - ١٩٧٧ ؛ فإن الواقع يكذب ما ذهب إليه « بيار الجميل » وفريقه المتعصب عمياً ، بما ارتكبوه من مذابح وفظائع فى حق الإسلام والمسلمين والتاريخ . إن « الجميل » لم ير من زعماء المسلمين المستنيرين على مدى طويل ، سوى « حافظ الأسد » و « رياض الصلح » ، ولذا ألقى إليهما بمباركته وتأييده ، لأنهما — بالطبع — منحاه وفريقه الفرصة للتفوق والتنكيل بالفريق الآخر !

ورغم أى شىء ، ومهما يكن من شىء أيضاً ؛ فإن المستقبل مازال مغلفاً بالضباب ورائحة الحريق ، والتعصب الصليبى ، والتخاذل الإسلامى ، والاحتراف السياسى القبيح لمجموعة من السياسيين اللبنانيين الذين ينتمون للإسلام .

ويا أيها الحزن الدامى . . لقد أصبحت رهيباً .. رهيباً !

أسلحة خفيفة وثقيلة :

اقتضت عملية وقف إطلاق النار ، أن يتفق المعنيون على جمع

الأسلحة : خفيفة وثقيلة ، وخاصة تلك التى نهبتها الكتائب والنمور من الجيش اللبنانى – سابقاً – ؛ ووضعها فى مخازن ، تفرض عليها حراسة داخلية من الطرف المسحوبة منه ، وأخرى خارجية من قوات الردع العربية التى تشرف عليها الجامعة العربية ، ويقودها العقيد اللبنانى أحمد الحاج .

وعند هذه القضية التى ينبغى أن تنفذ على الجميع بما فيهم الفلسطينيون رفض شمعون وحلفاؤه ، تسليم أسلحتهم ، مالم يتم تجريد الفلسطينيين أولا من أسلحتهم ، وترحيل القوات النظامية الفلسطينية إلى خارج لبنان ، وعودة الفلسطينيين إلى المخيمات بلا أسلحة خفيفة أو ثقيلة !

وذكرت صحيفة « القبس » الكويتية – ١١ - ١ - ١٩٧٧ ، أن « سليمان فرنجية » الرئيس السابق ، وأحد أقطاب الحلف المارونى الجهنمى ، قد رفض شروط اللجنة الرباعية لجمع الأسلحة الثقيلة ، وقال إنه يجب إرسال جميع الأسلحة الثقيلة الموجودة مع الفلسطينيين خارج لبنان . وهدد بعدم تسليم أسلحة المارون ، وتقضى – كما تقول الصحيفة – شروط قوات الردع بأن تجمع الأسلحة الثقيلة فى مراكز خارج بيروت وتحت حراسة كل طرف من أطراف النزاع من الداخل وبحراسة قوات الردع من الخارج .

وإزاء هذا الأمر ، تحركت الوساطات العربية والمحلية ، لقبول حلول ترضى الطرف الصليبى ، وتجنب لبنان مزيداً من الدم والنار .

وفى خلال ذلك ، قام الصليبيون الجدد بنقل أسلحتهم إلى مخابئ سرية فى الجبال ، لكى لا تستطيع قوات الردع السيطرة عليها . وقد أوردت جريدة « المساء » المصرية — ٢٨ - ١٢ - ١٩٧٦ — هذا الخبر :

« تؤكد مصادر الانعزاليين — أى المارون — أن ميلشيا المسيحيين نقلوا بالفعل أسلحتهم إلى مخابئ سرية فى الجبال شمال شرق العاصمة بيروت ، وتزعم الأطراف المتنازعة فى لبنان أنه لم يعد فى حوزتها أى أسلحة تذكر لكى تسلمها للجامعة العربية — أى قوات الردع — » .

« والشىء الذى تأكد بعدئذ ، هو تسليم الفلسطينيين والمسلمين أسلحتهم إلى قوات الردع ، كما نشرت صحيفة « القبس الكويتية » فى ٢٧ - ١٢ - ٧٦ .

وكان قد قيل — عن صحيفة الشرق المؤيدة لسورية — : إن الفلسطينيين سيسمح لهم بالاحتفاظ بأسلحتهم الثقيلة فى قطاعى الوسط والشرق « العرقوب » فى جنوب لبنان ، تبعاً لاتفاقية القاهرة عام ١٩٦٩ — نقلا عن « الأهرام » ٢٩ - ١٢ - ١٩٧٦ .

وقد تواترت الأنباء بما يفيد أن هذا الأمر فى ظاهره قد تم ، وأن قوات الردع قد استطاعت بالفعل أن تجمع جميع الأسلحة الثقيلة من كافة الفرقاء المتحاربين فى لبنان . ولكن الواقع لا يصدق ذلك تماماً فما زالت المعارك فى الجنوب مشتعلة بأسلحة ثقيلة وخفيفة ، وما زال الصراع دائراً بين القوات المسلحة والفلسطينية وبين القوات المارونية

للسيطرة على القرى المتاخمة للحدود اللبنانية الإسرائيلية وخاصة مرجعيون وبنت جبيل بأسلحة ثقيلة وخفيفة أيضاً ، ولا ننسى هنا هذه المساعدة الإسرائيلية للطرف الماروني بالمدفعية الثقيلة عبر الحدود .

صحيح أن القوات النظامية الفلسطينية ، قد غادرت لبنان إلى دمشق ، وأنه تم تجميع الأسلحة الفلسطينية فى صيدا ، وخارج بيروت ولكن الطرف المارونى مازال يتمتع بأسلحته الثقيلة التى استطاع تهريبها سراً فى الجبال . ولذلك فإن التهديد المارونى بشن الحرب من جديد ، واستئناف القتال ما لم يجب إلى جميع مطالبه ، يستند بالدرجة الأولى إلى اعتماده على هذه الأسلحة المتوافرة لديه والبعيدة عن تناول قوات الردع العربية .

لقد قيل إن الهدف هو تقليم أظفار المقاومة تماماً ، وتحويل الفلسطينيين إلى شعب لاجئ داخل لبنان يتم ترحيله تدريجياً خارج لبنان . ويبدو أن هذا القول قد أصبح أمراً واقعاً فى بيروت وشمال لبنان على الأقل (المنطقة المقترحة لإقامة دولة لبنان الحر) خاصة بعد هزيمة الفلسطينيين الساحقة فى جسر الباشا والنبعة وضبية ، وتل الزعتر !

ويرجع سبب تمسك الطرف المارونى بأسلحته إلى تعلقه بتحقيق آماله البعيدة فى إقامة الدولة المارونية الجديدة أو الاستعداد لجولة عاشرة — بعد جولات تسع فى ثمانية عشر شهراً — من الحرب الشرسة والتى يبدو أنها ستشتعل هذه المرة مدمرة وعاتية من الجنوب !

وقد نقلت الأنباء أخبارا عن مصانع الأسلحة التى يملكها « كميل شمعون » وابنه دانى فى لبنان . ولأن هذه المصانع خارج بيروت فلم تتمكن قوات الردع التابعة للجامعة العربية من السيطرة عليها حتى الآن . ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا يتشدد شمعون فى فرض مطالبه . إن استفادته من هذه التجارب القذرة عظيمة للغاية ، فضلا عما قيل من استفادته من تجارة الأسلحة التى كانت تشتريها الدولة قبل الحرب لدعم الموقف اللبنانى فى مواجهة إسرائيل ، أو فى أثناء الحرب بالاستيلاء على كثير من أسلحة ودبابات ومدرعات الجيش اللبنانى — سابقاً .

إن قضية جمع السلاح ، تبدو قضية معقدة وصعبة وخطيرة ، رغم أن الجميع ينظرون إليها على اعتبار أنها منتهية . ولكن أنى لها أن تنتهى والمزايدات المارونية مازالت قائمة . والحرب فى الجنوب لم تنته حتى كتابة هذه السطور (إبريل ١٩٧٧) ، والكتائب مازالت تعد دفعات جديدة من الفتيان والفتيات للانضمام إلى ميليشياتها العسكرية وتدربهم على أحدث الأسلحة الخفيفة ، واستخدام الأسلحة الثقيلة !

إن نزع السلاح لن يتم ، مالم يتوافق مع مؤتمر الصلح العام ، وإعلان الدولة الجديدة ، ودستورها الجديد ، وإعادة « الجندرمة » المسيحية ، وغيرها إلى مواطنين عاديين وبعدها يتولى الجيش الوطنى حماية الجميع . وبدون ذلك ، فإن اعتقادى يقول بصعوبة تحقيق عملية نزع السلاح خفيفاً أو ثقيلا .

صحافة . . وصحافة :

فى زيارته الأخيرة لمصر (أول إبريل ١٩٧٧) قال السيد صائب سلام رئيس الوزراء الأسبق للبنان فى تصريح له ، ما يلى :

(جمال عبد الناصر هو المسئول الأول عن فتح « سوبر ماركت » لشراء الذمم فى بيروت ، فهو الذى اشترى الأقلام والصحف الصفراء فى بيروت . . وسارت وراءه معظم الدول العربية ، وفى مقدمتها القذافى) — مجلة أكتوبر — العدد ٢٣ — ٣-٤-١٩٧٧ .

وإذا كان « صائب سلام » ينسى أنه كان رئيساً لوزراء لبنان فى فترات عديدة ، وأن هذه الصحف الصفراء نمت وترعرعت تحت حكمه « الزاهر » ، وأن الساسة اللبنانيين المحترفين من أمثاله كانوا يفاخرون بصحافة لبنان الحرة ، وأن اللبنانيين كانوا يعلنون دوماً عن استفادتهم الاقتصادية والدعائية من وضع لبنان الصحفى ، فإننا نقول للسيد سلام ، إن كلامه جاء متأخراً جداً . فالعالم كله — وليس العالم العربى — عرف بهذه الحقيقة جيداً ، وكان لكل جهة وجهاز ومؤسسة ودولة ، فى لبنان وخارجه ، صحيفة تنطق باسمها أو نشرة تتحدث بلسانها أو دورية تنطق عن أفكارها . وقد أسهم السياسيون اللبنانيون المحترفون الذين نعموا بمباهج السلطان وأبهة الحكم ، وغفلوا عن واجباتهم والمستقبل ؛ فى هذه اللعبة القذرة التى تدعى الصحافة اللبنانية .

ونحن لن نتعرض للمآسى والأحزان التى خلفتها هذه اللعبة لدى

الإنسان اللبنانى والعربى . فقد كانت هناك حوالى ثلاثمائة دورية يومية وأسبوعية ونصف شهرية وشهرية وفصلية تصدر فى لبنان وتنطق بألسنة كل الملل والنحل والمذاهب والأهواء والأحزاب . . وكل منها يرى الصورة بعينيه فقط ، بل إن الكثيرين أخذوا يفبركون الأخبار والأحداث ويسهمون فى تزييف التاريخ ، وتشويه المستقبل ، ويصنعون من الصعاليك أبطالا ، ومن الأبطال صعاليك ! ونسوا فى غمرة اللعبة آلام المسلمين اللبنانيين ، والمحرومين من المسلمين اللبنانيين على وجه الخصوص . وكانت النتيجة الرهيبة والمرعبة التى عاشها لبنان ، وأوقدت صحافته عود ثقاب فى هشيمه الذى كان ، ورماده الذى بقى !

وبعد أن وضعت الحرب الشرسة أوزارها إلى حد ما ، وخفت حدة القتال ، وبقيت المناوشات الخفيفة فى بيروت والشمال ، والمعارك الساخنة فى الجنوب ، راحت الصحافة اللبنانية تنطق وتعبر عن الواقع الذى نشأ بعد الحرب . .

تحولت الصحف والدوريات التى تصدر فى بيروت الشرقية (القسم الشرقى من بيروت) إلى صحف تنطق باسم المسيحيين المارون وتعبر عن وجهة نظر صليبية تماماً وهى صحف ومجلات (النهار – الأنوار – والصياد والحوادث) . وتعمدت هذه الصحف أن تثير أحاسيس العرب والمسلمين بتصوير بطولات الكتائب والنمور وحراس الأرز (جحا) فى حرب الصليبين الجدد غير المقدسة ، بل إن بعضها قدم عرضاً فضفاضاً مدعوماً بالصور لبطولات (فتيات الكتائب) كما

فعلت الصياد والحوادث ، وتحولت المجلة السنية (الحوادث) إلى مجلة ناطقة بفكر وأحداث الحرب من وجهة نظر صليبية ! وقد ثارت الأقاويل حول رئيس تحريرها « سليم اللوزى » ، ونواياه تجاه المسلمين والفلسطينيين وخاصة بعد هروبه إلى لندن وإصداره مجلة جديدة هناك باسم (Evenas) « إيفيتس » ، ويمكن للقارئ أن يراجع ما أشار إليه الأستاذ « ناصر الدين النشاشيبى » فى مقاله بجريدة « الجمهورية » القاهرية الصادرة فى ٣١-٣-١٩٧٧ حول « الحوادث » وصاحبها .

وفى بيروت الغربية (القسم الغربى من بيروت) أخذت الصحف التى تصدر من هناك ، تعبر عن وجهة نظر المسلمين والفلسطينيين والبعثيين العراقيين والشيوعيين .

فقامت السلطات السورية من خلال قوة الردع التى تألفت بقيادة العقيد أحمد الحاج بإغلاق العديد من الصحف التى تصدر فى القسمين الشرقى والغربى لبيروت ، وقد تم إغلاق كل من (المحرر – بيروت – السفير – النداء (يسارية) – لوريان لوجور – النهار (مستقلتان) – الدستور (يمينية) .

وقد احتلت قوات الردع مبانى هذه الصحف . وبعد ذلك ثارت ضجة كبيرة ، تدخل فيها عدد من السياسيين المحليين والعرب ، وقد قام الرئيس السادات بدور كبير فى هذا المجال . وعادت الصحف إلى الصدور تدريجياً اعتباراً من ٤-١-١٩٧٧ ، بناء على قانون جديد تحدثت

عنه « الأهرام » القاهرية (٤-١-١٩٧٧) ، وقالت إن موضوعات الرقابة هى : الحساسيات الدينية والطائفية — المساس بالكيان اللبنانى — الولاء للوطن — الدعوات التقسيمية — أنباء حوادث الأمن — اتهام رئيس الدولة — العلاقات العربية — قوات الردع — الإهانات ضد الملوك والرؤساء العرب .

وتصل العقوبة لمخالفى هذا القانون إلى غرامة قدرها ١٥ ألف ليرة ، والسجن ٣ سنوات . وقد قبلها المحررون اللبنانيون على مضض ولصالح الوطن .

ورغم ذلك ، فإن معظم الصحف التى تصدر فى لبنان اليوم تقع تحت سطوة المارون ، فتنطق بأفكارهم وأحلامهم ، ويبدو من متابعتها أنها لا تعبأ بقانون الرقابة المشار إليه آنفا إلا فى أقل القليل .

على أن الظاهرة التى لفتت انتباه الكثيرين ، هى نزوح عدد كبير من أصحاب الصحف والمجلات إلى باريس ولندن لنشر مجلات وصحف جديدة باللغة العربية والإنجليزية فى هاتين العاصمتين . وقد صدرت بالفعل فى لندن مجلة « Eventes » أو الحوادث باللغة الإنجليزية ، بمعرفة « سليم اللوزى » ، كما أشرنا من قبل . وفى باريس صدرت مجلة « المستقبل » ويرأس تحريرها « نبيل خورى » الشريك السابق لسليم اللوزى فى « الحوادث » اللبنانية . وفى باريس أيضاً ، صدرت مجلة « الوطن العربى » ويرأس تحريرها « وليد أبو ظهر » صاحب

« المحرر » اللبنانية ، وقيل إن « غسان تويني » صاحب « النهار » و « لوريان لوجور » يستعد لإصدارهما من باريس كذلك . بالإضافة إلى ما تتناقله الأنباء عن مشروعات عديدة لإصدار أكثر من صحيفة ومجلة فى باريس ولندن باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية ، وأصحابها لبنانيون أو فلسطينيون عاشوا فى لبنان .

ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه المجلات تضم طاقماً مصرياً مسيحياً ، يعلن ماركسيته ، بينما الأحداث تتكلم عن صليبيته العفنة وتعصبه البغيض ، ومشاركته الفعلية بالسلاح إلى جوار « الكتائب » ! وقد دأب واحد منهم على الزراية المستمرة بالعرب والمسلمين وتصويرهم بصورة قبيحة ، ثم — وهو الأشد وقاحة — تبشيره ببطل جديد للإنسان العربى ، وفق مواصفاته وتخيلاته هو !

وعلى أية حال ؛ فإن المرء لايدرى إلى أى الموانى ستتجه الصحافة اللبنانية (الصفراء) — وشكراً لصائب سلام على هذا الوصف — ولايستطيع المراقب أن يزعم أن هذه السفينة تسير فى اعتدال واتزان ، لأنها ليست ملكاً لنفسها ، وربانها مازال يعلن كل يوم وفى صلافة عن أحلامه السوداء وأمانيه المظلمة !

المركزية واللامركزية . . أو العروبة والمسيحية :

الحديث عن صيغة المستقبل فى لبنان يستقطب الاهتمام على الصعيد

اللبنانى الداخلى ، والمستوى العربى خارج لبنان . الكل يسأل : كيف سيكون التعايش بعد هذه الدماء وهذه الجراح ؟

الطرف المارونى يعتقد أنه صاحب لبنان ، وأنه حقق مكاسب عسكرية وسياسية ؛ يستطيع أن يفرض بها شروطه وتصوراته لمستقبل لبنان ، ومن هذه التصورات وتلك الشروط :

١ ـ أن لبنان ينبغى أن يخلع عن وجهه قناع العروبة ، لأن العروبة مرادف للإسلام فى مفهومهم . وليصبح لبنان له وجهه الفينيقى الذى علم البشرية الأبجدية . ولبنان العربى أى الإسلامى ، مرفوض ، مرفوض مرفوض .

ومن هنا ؛ فقد كلف قادة المارون عدداً من كتابهم ومفكريهم وباحثيهم فى تقديم دراسات تاريخية تتحدث عن لبنان الفينيقى الذى لايمت للعروبة بصلة . ولبنان الذى يؤدى دوراً خاصاً منذ فجر الإنسانية ، ومن هنا فإنهم يركزون على دور الأمير فخر الدين المعنى الذى حكم لبنان فى العهد العثمانى ، ويصورونه على هيئة الرجل السياسى المحترف التى يستفيد من كل الظروف ، ومن التوازنات الدولية القائمة فى إيران وتركيا وإيطاليا ومصر !

٢ ـ ترحيل الفلسطينيين عن لبنان نهائياً . وتوزيعهم على الدول العربية ، ليتفرغوا للبنان الحر الديمقراطى الذى ينبغى ألا تشغله أمور قومية أو عربية ؛ حتى تتحقق الصيغة اللبنانية التى تبهر العالم منذ ثلاثين

عاماً ! وعلى الدول العربية — آنئذ — أن تتحمل مسئوليتها إزاء الفلسطينين .

٣ — العودة إلى ميثاق ١٩٤٣ ؛ الذى اتفق عليه شفوياً بين الموارنة والمسلمين . عندما كان عدد المسيحيين أكبر من المسلمين بتخصيص رئاسة الدولة للمارون ، ورئاسة مجلس النواب للشيعة ، ورئاسة مجلس الوزراء للسنيين . وتمثيل الوزراء حسب الانتماءات الطائفية . ومع أن الموقف تعدل اليوم ، وأصبح المسلمون يمثلون ٦٥٪ من مجموع السكان ، والمارون لايمثلون سوى ١٧٪ ؛ فإن المارون بقيادة الكتائب يصرون على الإبقاء على جميع امتيازاتهم الطائفية سياسياً واقتصادياً ووظيفياً ! وأى تغيير فى هذا الميثاق هو خروج على لبنان المستقبل الذى يريدون بناءه قائماً على أساس حضارى فينيق . ويأتى بعض مفكريهم ليزعم أن عدد المسلمين لم يزد أبداً ، وليغالط كل الإحصائيات المعروفة ، لدرجة تكذيبه « سعيد عقل » . (راجع ما قاله د . فؤاد إفرام البستانى فى « الصياد » ٣١-٣-١٩٧٧) . والجواب بسيط على مثل هذا الادعاء . إننا نقبل بالاحتكام إلى إجراء تعداد للسكان فى الداخل والمهجر ، وبعدها نرى أينا أصاب الحقيقة . . ويبدو أن هذا التعداد لن يتم أبداً فى الوقت القريب على الأقل !

٤ — ادعاء البطولة فى تحرير لبنان من الفرنسيين ، وبناء لبنان بعد تحرره والحفاظ على لبنان ضد العواصف التى ألمت بدول الشرق الأوسط الأخرى . وفى المقابل ؛ فإنهم يلغون كل أثر أو فعل ، قام

به المسلمون فى لبنان . بل إنهم يذهبون أبعد من ذلك فيقررون أن هناك فارقاً حضارياً بين المسيحيين والمسلمين فى لبنان . فالفريق الأول أكثر حضارة وتقدماً بطبيعته وعنصره (الذى يعتمد على أصل فينيقى كما يتصورون) أما الفريق الثانى ، فأكثر تخلفاً ورجعية بطبيعة تكوينه وتدينه (الذى يعتمد على الإسلام بالطبع) .

وقد تحدث الدكتور فؤاد إفرام البستانى ، الذى أشرنا إليه منذ قليل ، إلى الفارق الحضارى بين اللبنانى والمصرى فى سخرية وزراية واضحين . يقول البستانى : « فاللبنانيون يرون الأشياء فى إطار شمولى أكثر مما يراها بقية العرب (أى المسلمين كمفهوم المارون) . . فاللبنانى يقول « براد » ، والمصرى مثلا يقول « ثلاجة » لأنه لا يرى فى الثلاجة إلا أنها تعطى الثلج ، ويقول اللبنانى « قداحة » فى حين أن المصرى يقول « ولاعة » لأنه لا يرى فيها إلا اشتعال النار . هذا يشكل بعض التمييز بين الفكر اللبنانى — كذا — والفكر العربى ، ثم إن هناك فارقاً حضارياً أساسه الدين » الصياد ٣١-٣-١٩٧٧ .

وبالطبع لم يذكر الدكتور البستانى ، أن سر الفارق الذى نشأ بين المسلمين والمسيحيين فى لبنان وغير لبنان هو تسامح الأولين فى حقوقهم وسطو الأخيرين على حقوق الأولين ، واستغلالهم جو السماحة لالتهام كل الامتيازات والإمكانيات والثروات .. فتعلموا واغتنوا ونعموا . بينما ظل المسلمون يقنعون بالحرمان والبؤس والعذاب ! ثم يأتى

« البستانى » ليسخر منهم ويزرى بهم . ويتحدث عن الفارق الحضارى الأساسى فى الدين !

٥ – يصر المارون على نظام جديد ، ومن خلال الميثاق اللبنانى ١٩٤٣ ، للأسف ، وهو اللامركزية ، وتعنى استقلال الأقاليم اللبنانية عن السلطة المركزية . ويصبح بعدئذ من حق كل إقليم أو مقاطعة أو « كانتون » كما يقولون ، التصرف فى شئونه الداخلية ، ووضع النظم واللوائح وفق ظروفه وإمكاناته وطاقاته – بل وصل الأمر إلى تصور أن يكون لكل مقاطعة حق إصدار جوازات السفر إلى العالم الخارجى . ولم يبق – على حد تعبير إحدى الصحف المصرية – سوى تبادل السفراء والتمثيل الدبلوماسى !

وهذه اللامركزية ستتيح بالطبع ؛ للمسيحيين المارون والكاثوليك والأرمن والأرثوذكس ، إقامة النظم التى يريدونها ، بعيداً عن إشراف الدولة وسيطرتها . أى أنه تقسيم حقيقى وواقعى !

٦ – ويقولون – أى المارون – إن الدين الإسلامى يقول لا إكراه فى الدين ، وقياساً عليه ، لا إكراه فى الوطن . وصاحب هذا القياس هو الرئيس الأسبق شارل حلو . وهو قياس ذكى بالطبع ، ولكنه ينبع من الإحساس بالقوة ونشوة التفوق فى جو ملبد بالغيوم ، ويشيع فيه على المستوى العربى كله ، إحساس بالضياع ، وانعدام الوزن . ولو أخذنا بهذه المقولة ، لقال كل فريق غير مسلم فى العالم العربى –

ولم يبلغ عدده بضعة آلاف – لا إكراه فى الوطن ! وبالتالى يتحول العالم العربى إلى ثلاثين أو أربعين دولة ، وفقاً لحكمة الرئيس شارل حلو الذى يصر دائماً فى رحلاته إلى خارج لبنان على مقابلة « البابا الأقدس » واستمطاره البركات !

إن المارون قد أعلنوا فى غمرة انتصارهم العسكرى عن نواياهم الحقيقية ، وهى نوايا صليبية ، بإعلان الصراع بين حضارتين : مسيحية وإسلامية . وتلك قضية خطيرة . فالصراع الحضارى ينبغى أن يكون بين عالمين : العربى الإسلامى وأوربة ، وليس بين المسلمين والمارون فى لبنان ! هذا إن تكن هناك أساساً عملية « تفاعل » يستفيد منها كل طرف بما هو أفضل لدى الطرف الآخر ، كما تحتم النظرة الحضارية لتطور الشعوب والأمم .

إن وصول المسألة إلى هذا الحد صراعاً بين المسلمين والمارون حضارياً ، يعنى نوعاً من الهوان يفرضه المارون على الأمة العربية بأسرها ، بعد أن منحتهم الأخيرة ؛ ظلا عريضاً من الأمن والطمأنينة والسماحة ، بدأ منذ رفض « عمر بن الخطاب » أن يصلى فى كنيسة بيت المقدس احتراماً لمشاعر أجدادهم ، وكان هو الفاتح المنتصر بحق ، والمبشر من خلال الإسلام بالسلام والعدل والرحمة !

إن ما تموج به الصحف والكتب التى تقع تحت سيطرة وتأثير المارون الآن ، يوحى بذلك الحقد الذى يكنونه فى أعماقهم لكل

ما هو عربى وإسلامى بصراحة وحسم . فضلا عن تأييد ما ذهبنا إليه منذ البداية بأن هذه الحرب صليبية مبدأ ومنتهى . ولعل فى ذلك بعض الرد القاطع على من تصوروا أنها حرب بين اليمين واليسار ، وحسب !

فهل آن لنا أن نتخلى عن سذاجتنا قليلا ؛ لندرك وقع خطانا ، وننظر إلى المستقبل بعين أكثر حذراً ؛ بعد أن تعرضنا لكثير من الهزائم والمذابح والمهازل فى الداخل ، على يد اليهود والمارون والشيوعيين والصليبيين ؟

سؤال بلا إجابة . . وصح النوم يا عرب . . يا مسلمون !

الجنـوب . . بين فكى الكماشـة :

الجنوب مسمار جحا الإسرائيلى !

كلما حركته الأحداث بين الفلسطينيين والمسلمين وبين المارون الصليبين ، قامت إسرائيل وقعدت ، وأرغت وأزبدت ، وهددت وتوعدت ، ويتحرك العرب لاستجداء فرنسا وأمريكا وروسيا ، للضغط على إسرائيل كيلا تشن هجومها المتوقع والمنتظر لاجتياح الجنوب والتهامه ، وضمه إلى مملكة « داود » فى القرن العشرين !

الجنوب أرض المحرومين المسلمين الذين يعيشون الفقر والفاقة ، والجوع والحرمان ، والحضيض والمأساة ، تقهرهم حكوماتهم اللبنانية المتعاقبة والمتعددة بنسيانهم وتجاهلهم . وتقهرهم حكومة إسرائيل

بشن غاراتها الإنتقامية على الفلسطينين ، فتصب عليهم الموت قذائف وصواريخ ودانات ، ويعيشون أبداً بين فكى الكماشة !

الجنوب هجره ساكنوه إلى الشمال ، حول بيروت ، وشكلوا ما أطلق عليه « حزام البؤس » ، وسكنوا فى المخيمات والعشش والأكواخ وصنعوا الأحياء البائسة والمكدسة بالتخلف والقذارة والإهمال . . والمسغبة أيضاً ! وحين اصطلوا بنار الحرب فى بيروت وحولها رجعوا إلى الجنوب مقهورين وبائسين أيضاً ، كما جاءوها مقهورين وبائسين !

الجنوب أرض فتح ، أو (فتح لاند) كما أطلق عليها الصحفيون الغربيون حيث منطقة « العرقوب » التى عاش فيها الفلسطينيون بعد مذابح أيلول الأسود ١٩٧٠ فى الأردن ، فتجمعت فلولهم هناك ، وأقاموا معسكرات التدريب ، استعداداً لمعركة التحرير . .

الجنوب أرض طيبة تطمع فيها إسرائيل ، لأنها مجرى نهر « الليطانى » الذى تستبسل إسرائيل لتشارك فى السيطرة عليه وتأمينه لتزرع شمالها الصحراوى ، وتصنعه ، وتجعل منه المنطقة الأولى فيها ، ثم تقيم المستعمرات اليهودية الجديدة ، وتستقبل الأعداد الكثيرة من المهاجرين الجدد القادمين من روسيا ودول الشرق الشيوعى . ويقال إن «إسرائيل» تضع فى جيبها ورقة « الليطانى » لتفاوض عليها فى « جنيف » مستقبلا !

الجنوب هو هدف المعركة الراهنة التى تدور رحاها الآن بين المارون والقوات المشتركة . ويسعى الماورن إلى السيطرة على الجنوب

وطرد الفلسطينين منه نهائياً انطلاقاً من اقتناعهم بأن لبنان ليس عربياً ولن يكون ، ولبنان المسيحى هو الذى يجب أن يكون . ومن ثم ، فلا قبل له بالقضية الفلسطينية ، أو صراع الشرق الأوسط .

ويتحدث قادة المارون دائماً عن القضية اللبنانية — الفلسطينية ، ويتناسون القضية اللبنانية — اللبنانية . إنهم يصورون للدنيا أن القضية ليست فى اغتيالهم لحقوق المسلمين والمحرومين . وإنما القضية فى نظرهم هى اعتداء(١) فلسطينى على لبنان ، واحتلال فلسطينى للدولة اللبنانية النمط الفذ للحضارة فى الوطن العربى ، وسويسرا الشرق ، ولؤلؤة العرب !

لذا ؛ فإنهم يقودون المعركة ضد الفلسطينيين حتى يتمكنوا من سحقهم تماماً فى مركز تجمعهم وتدريبهم وقوتهم ، وبذلك يفقد الفريق المسلم قوته الأساسية التى يعتمد عليها فى الصراع للوصول إلى حقوقه الضائعة ، وذاته المهدرة !

سئل « كميل شمعون » : متى تنتهى الحرب ؟ فقال :

(« على قدر ربنا ما يوفق » . . وعندما ننجح فى تغيير قناعة المقاومة بما هو فى مصلحتها . أى عندما ترفض أن تكون وسيلة لتحقيق غايات غير فلسطينية — يقصد مساعدة المسلمين بالطبع — وعندما ترفض أن تكون مطية لأنظمة عربية تتصارع مع بعضها البعض بواسطة الفلسطينى واللبنانى . ومتى اقتنع الفلسطينى أنه لم ولن يربح شيئاً فى الحرب ، بل الخسارة ، تنتظره فى كل عمل حربى يقدم عليه . .) .

ولعلنا نستشف ذلك بصورة أوضح حين قال للدكتور حسن صبرى الخولى عن الفلسطينيين :

(أما أنهم لايعودون إلى المخيمات إلا بعد ما يسلمون الحكم إلى الفريق الذى ساعدهم على تدمير لبنان — أى المسلمين طبعاً — ، فهذا يعنى أننا يجب أن نكافىء الذى دمر قصرى — قصر شمعون فى السعديات ..) هذا الكلام وما قبله عن « الحوادث » اللبنانية ١٥-١٠-١٩٧٦ .

لقد استطاعت القوات المارونية فى ١٩-٢-١٩٧٧ ؛ أن تستولى على مدينة (خيام) التى تبعد ثلاثة أميال عن حدود إسرائيل ، بعد معارك مع الفلسطينيين والمسلمين لمدة يومين ، ومقتل ٥٠ شخصاً وإصابة ١٥٠ ، وفرار ثلاثة آلاف من سكانها . وقد قام المارون بتدمير البلدة وذبح أفراد منها بطريقة وحشية . ولكن أخبار المعارك الراهنة (ابريل ١٩٧٧) ، قالت إن القوات المشتركة قد استعادت هذه البلدة ، مع عدد آخر من القرى . وما زالت تقاتل على مشارف مرجعيون لاستعادتها واختراق الحزام المارونى الذى أقامه المارون حول المعسكرات الفلسطينية بالتعاون مع إسرائيل لخلق حاجز يمنع الفلسطينيين عن أرض فلسطين . وقد ثبت هذا التعاون بأكثر من طريقة . وقد وجد الجيش العربى الذى كان يقوده الملازم أحمد الخطيب فى بلدة « العيشية » التى كان يسيطر عليها المارون أسلحة وذخائر إسرائيلية . وقد اعترف بعض الأسرى من هذه البلدة بتعاون سكانها مع إسرائيل (الأهرام ٧-١١-١٩٧٦) .

لا أحد يستطيع بالضبط أن يتنبأ بما سيجرى فى الجنوب . قد تشتعل الجولة العاشرة لحرب شاملة أخرى من هناك . وقد يكون حل المشكلة هناك أيضاً بداية لحل المشكلة اللبنانية برمتها .

لقد حاولت قوات الردع العربية الدخول إلى الجنوب للسيطرة على الموقف ، ولكن إسرائيل أعلنت أنها لن تسمح بدخول قوات غير لبنانية (!) إلى الجنوب ، وقد وافقها المارون ضمنياً على هذا الموقف لتتاح الحركة الطليقة والفرصة المنفردة لتصفية بقايا القوات الفلسطينية والإسلامية بعيداً عن التزام ما أمام قوات الردع العربية . وقد صرح « إيجال آلون » نائب رئيس الوزراء فى الدولة العبرية ، ووزير خارجيتها ، قائلا :

(إن دخول قوات الردع إلى بلدة النبطية فى جنوب لبنان ، قد خلق حالة تقرب من الأزمة) وقال (إن جيشاً لبنانياً فقط هو الذى يتعين أن يتواجد فى الجنوب) — الأهرام ١-٢-١٩٧٧ .

كما انطلقت أصوات أخرى من داخل إسرائيل تهدد بغزو الجنوب اللبنانى ، بيد أن الصحف نشرت أن أمريكا وروسيا تعهدتا بأن إسرائيل لن تغزو جنوب لبنان !

وقد حاول العرب مع الفرقاء اللبنانيين الوصول إلى حل لهذه المشكلة ، حتى لايثيروا حفيظة إسرائيل ، وخوفاً من استفزازها ! وقاموا — ياويلى ! — بطرح عدة اقتراحات ، منها — للأسف —

الوصول إلى اتفاق فى مجلس الأمن بإيفاد قوات طوارئ دولية على الحدود اللبنانية الإسرائيلية ، وبذا لايستطيع الفلسطينيون العبور إلى فلسطين ، وإزعاج الدولة العبرية القوية !

وعلى أية حال ، فإن أيا من الوسطاء لم يصل إلى حل ، ويبدو أنهم لن يصلوا إلى حل ، فى المستقبل القريب على الأقل !

المهم أن المجال فى الجنوب اللبنانى قد أصبح مفتوحاً لاستعراض العضلات المارونية والإسرائيلية ! ورغم أن المتوقع هو هزيمة الفريق الإسلامى الفلسطينى لأكثر من سبب موضوعى . . إلا أن الأخبار الآن تتحدث عن تحسن ملموس فى موقفه باستعادة بعض القرى التى طرد منها . مما اضطر الفريق المارونى إلى عقد الأجتماعات لدراسة الموقف ، وبحث تدهوره ، وإنقاذ هيبته التى تتعرض للاهتزاز فى الجنوب .

قد يقول قائل : لماذا لاتقوم سورية بالضغط على الفريق المارونى ، لإيقاف هذه المهزلة فى الجنوب — وخاصة أن سورية هى الحليف الأساسى لهذا الفريق ، وأنها هى التى دعمت موقفه وجعلته يتفوق على أصحاب الحقوق والمحرومين والفلسطينيين ؟

إن الإجابة على السؤال لن تقدم ولن تؤخر ، لأنها تقول ببساطة : إن شيئاً ما غير مفهوم ، يجرى بين سورية والمارون . وكل ما نعلمه هو ثناء الشيخ « بيار الجميل » زعيم الكتائب ، على الرئيس حافظ الأسد ووصفه بـ « الرجل الكبير » .

ونحن لانملك ، كذلك ، إلا ترديد هذا السؤال مع مجلة « المستقبل » التى تصدر فى باريس — العدد الثانى ٤-٣-١٩٧٧ — حيث يقول السؤال :

(هل ... إذا أخلى الفلسطينيون مواقعهم فى الجنوب — هل ترتدع إسرائيل عن متابعة تحركاتها فيه ، ومحاولات ابتزازها العرب من خلال الجنوب اللبنانى فى مفاوضات السلام الجارية ؟) .

ولعلنا نستطيع بعد ترديد هذا التساؤل أن نعرف : لماذا أكد بن جوريون فى رسالته المشهورة إلى ديجول عقب هزيمة ١٩٦٧ ، أن إسرائيل لابد أن تحصل على حصتها من مياه الليطانى !

وبين المارون والليطانى وإسرائيل ، يضيع الجنوب ، وتطبق الكماشة بفكيها على سكانه وأهليه : الفقراء التعساء المحرومين !

نريد : عرساً فلسطينياً . .

نعم . . نريد عرساً فلسطينياً ، وليس مجزرة فلسطينية !

نريد عرساً يسعد الفلسطينين والعرب والمسلمين فى كل مكان ، ومعهم كل مسيحى شريف ، غير متعصب وغير حاقد . وهناك رجال شرفاء من المسيحيين ، كانوا على المستوى الخلقى الرفيع الذى تحض عليه القيم الإسلامية وتأمر به . . والتاريخ دواماً يسجل مواقف الشرفاء . . والأنذال أيضاً !

ويوم أقام المارون « عرس الدم » فى لبنان ، بدلا من عرس

العودة . . الفلسطينية ، وإعادة الحقوق الإسلامية ؛ انفجر شريان حيوى فى جسم العالم العربى الإسلامى ، وتمزق شىء ثمين من بقايا الأشياء الثمينة التى تحتفظ بها العروبة ، كتراث عظيم ورائع من تراث الإنسانية .

وإذا كان الوقت ، الآن ، ينبغى أن لانبدده فى البكاء والعويل على ما تمزق وتحطم ؛ فإن الضرورة تحتم أن نقف وقفة موضوعية مع ، ومن أجل ، فلسطين . . والقدس : أولى القبلتين وثالث الحرمين ، ومهد الرسالات والأنبياء والقداسات .

وهذه الوقفة لابد منها ، ولابد من تناولها بوضوح ودون مجاملة ، فالفاجعة التى حدثت لفلسطين ، وتحدث للفلسطينيين ، ينبغى أن تتراجع أو يتوقف تصاعدها على الأقل . لأن أرض فلسطين غالية ، والدم الفلسطينى أغلى !

لقد بدأت المقاومة الفلسطينية فى أول يناير ١٩٦٥ بقيادة ثلاثة عشر رجلا ، وبنادق قديمة صدئة ، ودخل الرجال أرض فلسطين ، وقاموا بأول عملية بهرت الدنيا ، وهزت الكيان اليهودى وزلزلته ، وأفاقته من حلم طويل أحس فيه بنشوة الغطرسة والغرور ، وموت الفلسطينيين إلى الأبد !

وظلت المقاومة تتنامى ، وكان رجالها بعيداً عن الأضواء ، فى معسكراتهم ، حيث التدريب الشاق والاصرار العظيم على العودة ، أو الشهادة قرباناً لله ودينه وأرضه .

وبعد الهزيمة السوداء فى عام ١٩٦٧ ، كانت المقاومة الفلسطينية أنبل ظاهرة فى سواد الهزيمة الحالك . واستطاع الفدائيون الفلسطينيون أن يقلقوا الكيان اليهودى الإرهابى ، ويشعلوا فى جوانحه نيران الاضطراب ، ، والشعور بالحاجة إلى الأمن والسكينة . ويذكروه بأن الأمة التى هزمت فى « حزيران » لاتموت ولن تموت ، لأنها خلقت لتحيا فى الدنيا بالنموذج الفاضل والمتسامى للإنسان ، وتعيش بعد الموت مع الخلود والفردوس المقيم . وكان العربى الذى يسمع لفظة « فتح » يغمر وجدانه شعور راق بالانتماء إلى مملكة الله الفاضلة ، وخاصة حين يتردد فى داخله قوله تعالى : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) . وكانت فتح ، حقاً ، فتحاً مبيناً فى كثير من الآفاق التى أظلمت فى الدنيا العربية ، فتحاً فى الفكر والسلوك والأمل والتعامل مع الحاضر والمستقبل .

وكانت معركة « الكرامة » فى مارس ١٩٦٨ دعماً لهذا الفتح العظيم ، أدخلت البهجة فى النفس العربية الكسيرة ، وأشعلت الوهج الذى انطفأ فى الخامس من حزيران داخل الروح الإسلامية .

وتصاعد المد . .

وكبر الأمل . .

ولكن تمضى الأمور بما لاتشتهى السفن . !

رأينا الصحافة والإعلام فى العالم العربى والأجنبى يتحدث عن

المقاومة ، وعن أبطالها وأشبالها . وفى كل مكان صورة لزعيم فلسطينى وقصة فلسطينية ، وتصريح فلسطينى . . وكثرت الصور والقصص والتصريحات . وبالتالى ، توالت البيانات العسكرية ، وتعددت مصادرها ! ومن هنا :

تراجع المـــد . .

وتضاءل الأمـــل . !

ما الحكاية ؟ إنها فى غاية البساطة — للأسف — منظمات عديدة ، ومتنوعة للمقاومة الفلسطينية .

بعضها يعتقد بالهدف الأساسى فقط ولا سواه ، وهو : تحرير الأرض . والبعض الآخر يؤمن بتطبيق الاشتراكية التقدمية ، قبل تحرير شبر واحد من فلسطين !

والبعض الأخير ، يؤكد ضرورة تحقيق أهداف الحرية والاشتراكية والوحدة قبل أى شىء !

وتتعدد الآراء والاتجاهات والانتماءات . وتقع المقاومة الفلسطينية فى مأزق الخلافات العربية والسيطرة العربية !

وتشرذمت المقاومة الفلسطينية !

وأصبح الانضباط الفلسطينى صعباً !

وكانت أحداث أيلول ١٩٧٠ فى الأردن ، التى حطمت المقاومة

الفلسطينية ، وانتقل الفلسطينيون بعدها ، إلى لبنان ــ بعد أن منعتهم سورية لظروف دولية من استمرار عملياتهم ضد الدولة العبرية عبر الجـولان .

وفى لبنان كانت المأساة والمحنة الراهنة التى أطاحت بأكثر من ٦٠٪ من كوادر المقاومة !

وما زال التشرذم الفلسطينى قائماً ، وما زال الانضباط مفقوداً على مستوى كل المقاومة !

البعض يقول كان ينبغى على المقاومة أن تكون أقل ظهوراً فى ساحة الإعلام ، والسياسة العربية . وأن تكرس جهدها فى قضية التحرير ، على أن يقوم العرب بالواجب الدعائى الذى يحفظ أسرار المقاومة ومقاتليها .

وهذا معقول .

والبعض يقول كان يجب على المقاومة أن تكون أكثر حزماً مع الفصائل الفلسطينية التى شرذمت المقاومة وعددت فصائلها ، وأفقدتها الانضباط والتوحد .

وهذا معقول أيضاً .

والبعض يقول كان يتوجب على المقاومة أن تحاسب نفسها على الأخطاء والتجاوزات التى حدثت داخل قيادتها ، وداخل فصائلها ، ضد الثورة الفلسطينية وضد الدول العربية المضيفة .

وهذا معقول كذلك . .

ولكن ما الذى جرى . .

الذى جرى هو أن الكارهين للعروبة وللإسلام ولفلسطين ولكل ما هو إنسانى وخير فى الحياة . لم يمهلوا المقاومة ، وفى المقابل لم تسرع المقاومة . وكانت الصدامات المروعة والخسائر الفادحة .

قيل إن « سليمان فرنجية » الرئيس اللبنانى السابق ، جاء خصيصاً رئيساً للبنان كى يسحق المقاومة ويقضى عليها . وفى سبيل ذلك بذلت جهود جبارة حتى نجح على منافسه فى الانتخابات آنئذ « الياس سركيس » بفارق صوت واحد .

وقيل إن « فرنجية » كان يتحرش بالمقاومة ، ودبر اغتيال قائد جيش لبنان الأسبق « جان نجيم » حين رفض الأخير التحرش . ولم يجد « فرنجية » سوى « إميل البستانى » يعهد إليه بالمهمة ، وفى سبيل ذلك يتخطى من هو أقدم منه فى الرتبة — ولكن المهمة لم تتم تماماً . حيث وقعت اتفاقية القاهرة ١٩٦٩ . ورغم ما وجه إلى « إميل البستانى » فإن « فرنجية » تحدى الجميع ، وظل الرجل حتى تهيأت الأسباب المناسبة لسحق المقاومة التى بدت كعامل يسند الأغلبية الإسلامية الضعيفة فى مطالبتها بحقوقها . ولم يصمد « فرنجية » للضغط الذى وقع عليه بسبب « إميل البستانى » ، فكافأه بتعيينه ملحقاً عسكريا متجولا يفتش على سفارات لبنان فى العالم !

وفى عهد « حنا سعيد » بلغت المأساة الذروة ، وانضم معظم الجيش اللبنانى إلى « الكفور » جبهة الصليبيين القوية بأسلحته ومدرعاته ودباباته . وذهب « حنا سعيد » بعد إعلان وقف إطلاق النار وجاء « فيكتور خورى » فى عهد « سركيس » بعد حمامات الدم ، ولا ندرى هل يكمل المهمة بالقضاء على ما تبقّى من الفلسطينيين المقاتلين ، رغم أن المارون يعارضون ظاهرياً فى تعيينه ، أم يكون الرجل النزيه الذى يحمل أخلاقاً وقيماً إنسانية ؟

وقيل إن المؤامرة على الفلسطينيين دولية ، تشترك فيها مخابرات إسرائيل ومخابرات أمريكا ، ومخابرات روسيا أيضا .. كل حسب هدفه الخاص ، ولكنها تجمع على تمزيق المقاومة وشرذمتها لتأكل بعضها ببعضها ، أو لتبقّى المنطقة العربية ساخنة ومتوترة باللهيب والضجيج وقعقعة السلاح ونزيف الدم ؟ وحتى لا يصل العرب إلى إنجاز حضارى يحسب لهم فى العصر الحديث .

وقيل . . وقيل . .

ولكن الواقع المر ، يقول إن هنالك مؤامرة واقعة ومتشعبة الأطراف وتفويت الفرصة على المتآمرين ، أمر ممكن ، لو استطاعت المقاومة الفلسطينية أن تنظر للماضى والحاضر والمستقبل ، بقلب أكثر تبصراً وتفهماً ، وحبذا لو وضعت فى اعتبارها هذه النقاط :

١ ـ إن أحداث الماضى كانت نتيجة للشرذمة وعدم الانضباط والتجاوزات ، وكل هذا ينبغى أن يلغى فوراً ، ومن خلال مؤتمر

استثنائى للمجلس الفلسطينى ، بجعل جدول أعماله بنداً واحداً فقط هو : توحيد المقاومة وتحقيق الانضباط وعقاب من تجاوزوا ضد فلسطين أو البلاد المضيفة ، فى حسم وحزم وعزم .

٢ ـ تسكين الموقف مؤقتاً ، لالتقاط الأنفاس ، ومراجعة الخطط للمستقبل ، وتضميد الجراح ، وتصحيح العلاقات مع جميع الدول العربية ، فى إطار يحفظ استقلال الفلسطينين ويبعدهم عن أى سيطرة . أى بمنع استقطاب الدول العربية لهم أو لبعض فصائلهم ، ويجنبهم الدخول فى معارك إعلامية وثرثرة كلامية ضد هذه الدولة أو تلك .

٣ ـ إلغاء كل الشعارات الدعائية والاستهلاكية التى تذيعها « البروبا جندا » الإعلامية للمنظمات فوراً ، عدا شعار العودة والتحرير بكل الوسائل والأسباب وتحت أى ظروف ، مع مرونة سياسية واعية ، وصلابة عسكرية راسخة .

٤ ـ البعد عن كل المواقف التى تستفز الغير أو تستنفر القوى المضادة ، بدءاً بالظهور بالملابس المرقشة ، حتى العمليات الخارجية فى المطارات والسفارات ، وأن توجه كل العمليات العسكرية إلى الداخل وفى قلب إسرائيل الإرهابية !

ويستطيع الإنسان أن يتحسر على الكوادر الفلسطينية (أكثر من ٦٠٪) التى ضاعت خلال الحرب اللبنانية . وبعد التحسر يسأل المرء نفسه ، لو أن هذه الكوادر ؛ استشهدت داخل فلسطين ،

وأحدثت الخسائر الممكنة فى معسكراتها ومنشآتها وأفرادها – ألم تكن إسرائيل اليوم أكثر تواضعاً ، وأقل عجرفة وصلابة ؟ ألم تكن الدولة الفلسطينية قد قامت وأصبحت حقيقة واقعة ، لتكون نواة العودة إلى كل فلسطين . . والقدس ؟

٥ – وينبغى أن ينظر الفلسطينيون إلى أحداث التاريخ جيداً ، فيعلمون أن التعامل مع بعض اليهود من خلال أيديولوجيات معينة (مع حزب « راكاح » الشيوعى مثلا) أسلوب فيه خداع للنفس . والأفضل التعامل الصريح والمكشوف مع كل النوعيات ، إذا اتفقوا – أى أبناء فلسطين – على مبدأ الحوار مع اليهود . فأصحاب الأيديولوجيات هؤلاء ، لن يسمحوا بتدمير إسرائيل ، ولا عودة الفلسطينيين إلى فلسطين . وهذا أمر يعرفه جيداً الذين زاروا موسكو أو بكين أو صوفيا ، أو قابلوا يورى أفينيرى !

لقد كان « صلاح الدين الأيوبى » شجاعاً وواقعياً فى كل تصرفاته . ولم يخدع نفسه أبداً ، فقاتل بسيفه ، وفاوض بأسلوبه ، حتى تم له قهر المعتدين من الصليبين الأوغاد .

٦ – لابد من التفكير جدياً فى تنظيم الفلسطينيين فى المنفى – تنظيماً حقيقياً – وحضهم على العودة إلى أرض فلسطين ، والانتماء إليها بأموالهم قبل قلوبهم وأرواحهم . وهذا يقتضى التخطيط لبناء الإنسان الفلسطينى فى المنفى بناء إسلامياً ، حيث تصبح الشهادة فى سبيل الله أسمى

أمانيه ، قبل جمع الأموال الطائلة فى دول البترول ، والاستيطان خارج فلسطين !

٧ ـ ينبغى دراسة خطة الطرف المارونى العسكرية والإعلامية والتفاوضية خلال حرب لبنان ، للاستفادة بجوانبها المؤثرة التى ساعدتهم على تحقيق تفوقهم وانتصارهم العسكرى ، فى معركة أخرى طويلة ولكنها شريفة . أعنى معركة العودة .

هل ترانى قسوت على أحبائى الفلسطينيين ؟ كلا . .

فالقدس هى حبنا الذى نعتبره بعضاً من حب الله ، لأنها رمز القداسة والطهارة وعبق التاريخ المجيد ، وأسمى أمانينا الصلاة فى القدس دون خوف أو قهر . ولذلك ، فإننا نتحدث إلى الأخوة الفلسطينيين وقلوبنا مليئة بالرجاء والأمل فى أن نقيم العرس الفلسطينى قريباً بإذن الله ونودع عهد المجازر الفلسطينية إلى الأبد . والله سبحانه . يقول لكم ولكل المسلمين : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم».

المقال الخامس

بعد حمامات الدم .. وزارة جديدة !

. . وأخيراً ، وصل الرئيس اللبنانى « إلياس سركيس » إلى تحقيق ما يعتبره الساسة المحترفون فى لبنان « معجزة » بتعيين السيد « سليم الحص » المسلم السنى ، وزوج السيدة - ليلى فرعون – من أكبر العائلات الكاثوليكية فى لبنان – رئيساً لوزراء لبنان ، ومعه ستة وزراء منهم ثلاثة من المسلمين (واحد سنى ، وآخر شيعى ، وثالث درزى) ، ومثلهم من المسيحيين . ووصلت المناصفة إلى رئيس الوزراء نفسه ، فكان نصفه الآخر أيضاً مسيحياً !

وقد تطوع الساسة اللبنانيون المحترفون بمباركة هذه الوزارة ورئيسها وأعلن عن ذلك كل من رشيد كرامى وكامل الأسعد وعبد الله اليافى وتقى الدين الصلح وغيرهم ، وتحفظ واحد فقط هو « كمال جنبلاط » ، حتى « كميل شمعون » أعلن تأييده لرئيس الوزراء الجديد ، بعد أن كان مصراً على وزارة من السياسيين ! .

وبينما يجرى ذلك على الساحة السياسية ، فإن الساحة العسكرية تشهد تقلبات على جبهة المارون ، وجبهة الجنوب اللبنانى ، وجبهة جمع الأسلحة الثقيلة . .

فقد أعلن (أبو أرز) القائد العسكرى لجبهة حراس الأرز (جحا) أنه لن يلقى السلاح حتى يتحرر لبنان من كل الفلسطينين ، ومن يؤيدونهم (المسلمون طبعاً) ، وأنه سيظل معتصماً بالجبل حتى يتحقق حلمه (الجميل !) وبادرت الصحافة اللبنانية (كلها مارونية تقريباً) باطلاق اسم « المعتصم » عليه ، تيمنا باسم المعتصم الخليفة العباسى قاهر الروم ،وفاتح عمورية وصاحب الصيحة الشهيرة « لبيك أختاه »(١).

وارتبطت قضية جمع الأسلحة الثقيلة على جبهة المارون بوجهات نظرهم فى الموقف اللبنانى بعامة . . فبينما يتشدد النمور من أنصار شمعون فى عدم تسليم الأسلحة الثقيلة وضرورة إعلان دولة فيدرالية تضم دولتين احداهما مسيحية والأخرى مسلمة ، يرى الكتائبيون أن المرونة مطلوبة مرحلياً على الأقل ما دامت ستحقق كل أهدافهم ، وستبقى كل امتيازاتهم قبل الحرب !

بيد أن النمور قاموا باشتباكات مع الكتائب ، كما وقعت عدة محاولات لاغتيال « ريمون إدة » الزعيم المارونى المعتدل من جانب الكتائبيين ، مما أدى إلى أن يعلن « دانى شمعون » ابن كميل شمعون ، الانسحاب من القيادة العسكرية الموحدة للمارون والتى يقودها « بشير الجميل » ابن بيار الجميل زعيم الكتائب .

---

(١) تناولنا هذه القضية بتفصيل أكثر فى المقال السابق .

ومع غموض الموقف على الجبهة المارونية بين الكتائبيين والنمور وحزب جحا ـ الذى أعلن ، على لسان « أبو أرز » ، تنصله وتخليه عن « سعيد عقل » فجأة ، فإن الموقف يتضح فى الضغط المكثف على الفلسطينيين لتجريدهم من كل أسلحتهم وحصرهم داخل المخيمات ، ونزع أحلامهم فى الجهاد والاستمرار فيه !

كما يقوم المارون بهجمات خاطفة وضارية على تجمعات الفلسطينيين والمسلمين فى بنت جبيل ومرجعيون قرب الجنوب اللبنانى بعد تلقى الضوء الأخضر من إسرائيل !(١)

وإذا كنا لا نكف عن القول بأن الدول العربية ساهمت بطريقة فعالة فى مأساة المسلمين فى لبنان ، بحكم الشراك الخداعية التى نصبها المارون لحكام بعض الدول العربية ، وأخذت صوراً شتى مثل محاربة اليسار وزحف الشيوعية وانتشار الفوضى . . إلخ ، فإن هذه الدول مطالبة اليوم أن تكفر عن سيئاتها وتنظر إلى القضية نظرة عاقلة . وموضوعية وبعيدة المدى .

إن لبنان اليوم يواجه عديداً من القضايا العاجلة التى ينبغى أن يدركها العرب ، وفى مقدمتها قضية الجنوب اللبنانى ، وقضية المحرومين وقضية المساواة بين السادة والعبيد .

فالجنوب اللبنانى بأغلبيته الساحقة من المسلمين مازال عرضة لغارات

---

(١) تناولنا هذه القضية بتفصيل أكثر فى المقال السابق .

المارون واليهود ، ولا تخفى إسرائيل طمعها الجشع فى ضمه إليها ، ويمكن أن يحدث ذلك بكل بساطة ، وبعض العرب ينظرون فى بلاهة لما يجرى ، ثم عندما تتم المأساة يبدأون فى البكاء والعويل وقرض الشعر ! ولكن الموقف يستلزم أن يتدعم الجنوب عسكرياً وعمرانياً ، فقد تحول الجنوب إلى جبهة مواجهة مثل الجولان والضفة وسيناء ، رغب الساسة اللبنانيون أم كرهوا . كما أن نسبة المحرومين فى لبنان عالية ، وارتفعت بصورة واضحة بعد أن هدأت الحرب ، إذ أن أغلب من بقى فى أتون الحرب كان من هؤلاء المحرومين ، فاصطلى بلهيبها وذاق جحيمها ، وكان منهم الشهداء والجرحى والمشوهون ! . وأكبر خدمة إنسانية عاجلة تقدم لهؤلاء هى التخفيف عنهم ، ومساعدتهم وتأهيلهم لممارسة الحياة من جديد . .

أما قضية السادة والعبيد ، فهى مسئولية الرئيس اللبنانى سركيس ومعه بعض الدول العربية ، فقد كان هؤلاء السادة الذين أشعلوا الحرب وراحوا يمارسون هواية التزحلق والسباحة فى جونية والمدن الأوربية . وأخذوا يصرفون من الأموال المنهوبة ببذخ وترف ويتحسرون على أيام النهب الضائعة ، هؤلاء السادة لابد أن تقلم أظفارهم الطويلة ، وتغسل أمخاخهم ليعاملوا طبقة العبيد (وأغلبها من المسلمين) معاملة إنسانية تتيح للآخرين فرصة الحياة الكريمة والمنتجة لخير الوطن جميعاً ، وليس لخير سادتهم .

إن المساواة قضية ضرورية ولابد منها لبناء الخرائب وتعمير الأطلال والقضاء على النزعات التدميرية والرغبات العدوانية لدى المارون وحلفائهم .

وأعتقد أن القادة العرب يستطيعون أن يفعلوا الكثير من أجل لبنان المأساة والمستقبل . فمأساة لبنان مسئولية عربية قبل أى شيء ، ويجب التكفير عنها ، ومستقبل لبنان ضرورة عربية لها أولوية وأهمية لارتباطها بأمن العرب ومصير العرب . .

. . فماذا سيكون موقف العرب ؟

المقال السادس

الأفعى المارونية .. ومسلسل الحزن الدامي

بعد حرب السنتين فى لبنان ، تصورت الدنيا العربية أن الأمل فى تحقيق السلام اللبنانى قد أصبح حقيقة واقعة ، وأنه يمكن للمسلمين فى هذا الوطن أن يأخذوا حقوقهم ، ويستردوا بعض اعتبارهم بحكم كونهم الأغلبية الكبيرة ذات العدد الكبير والعمل الكثير والمحصول القليل !

ولكن الأمل تبدد فجأة . . لقد انقصم ظهر الحية — هكذا تخيل الناس — ولكن رأسها ما زال حيا . . وبدأ هذا الرأس يستثمر مخلفات الحرب من سلاح وأوضاع ليلتئم ظهر الحية من جديد أو بشدة أكثر . . ويتكون السم الزعاف غزيراً وناقعاً !

وبالسذاجة العربية المعروفة فى قرننا العشرين ، نسى العرب كل شىء عن مخلفات الحرب وأوضاعها ، وأخذوا يقيلون فى ظهيرة الكسل واللامبالاة وانعدام الاحساس الجاد بالمسئولية العربية فضلا عن الإسلامية . . بينما كانت الأفعى المارونية تكرس وجودها الصليبى المستقل داخل وطن مسلم بلا أهل ولا أصحاب ولا جيران يدفعون عنه

السم الزعاف الذى يتسرب فى خلايا دمه ، ويوشك أن يدفع جسده المتهرىء إلى الخمود صمتاً وموتاً !

فى البداية استطاعت الأفعى المارونية أن تجر دولة عربية اسمها سورية إلى ساحة القتال لتدعمها ضد المسلمين . . الأغلبية العددية المهضومة – وضد الفلسطينيين اللاجئين فى لبنان . . ونجحت الأفعى تحت ظلال الجيش السورى المساند أن تكون جيشاً منظماً – يطلقون عليه الآن مليشيات – وتظاهرت بعد مؤتمرى الرياض والقاهرة بالجنوح إلى السلم ، وقبول الأمر الواقع الذى يفرض تسليم الأسلحة واللجوء إلى الحوار مع الأطراف المعنية بحثاً عن مخرج يرد للمحرومين المسلمين بعض اعتبارهم ، ويقى البلاد شر الخراب والدمار ! وسلم الفرقاء أسلحتهم عدا الأفعى المارونية ، التى نقضت كل شىء ، وكرست جهدها لتقسيم لبنان ، وأنشأت عاصمة وإذاعة ، وحرساً عسكرياً وإدارات محلية ، وأغلقت بيروت الشرقية فى وجه المسلمين من أبناء بيروت الغربية ، ما عدا أنصار التفهم والتفاهم كالسيد (صائب سلام) وأشباهه !

وأحس المساند السورى أنه يواجه حليفاً يعامله معاملة الند للند . . وليس معاملة القوى الذى يحمى الضعيف الذى يحتاج إلى حماية ! . . وهنا انقلب الوضع ، فقد تحول الند – الضعيف سابقاً – إلى شخصية أخرى تطالب الند – القوى سابقاً – بالرحيل عن لبنان ، بل وتهديده بشن الحرب – يا للسخرية – ضده فى دمشق !

وبحثت الأفعى عن حليف آخر أكثر فعالية واتفاقاً فى الأهداف والكراهية للأطراف الأخرى المسلمين – الفلسطينيين – السوريين ! وكانت إسرائيل هى الحليف الذى زودها . . زود الأفعى المارونية بالسلاح والعتاد والطعام وكل شىء عن طريق ميناء العاصمة الجديدة (جونية) فى شمال بيروت . ومما قاله إيجال يادين نائب مناحيم زيف دوف بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلى ، تعليقاً على المساعدات والدعم اليهودى للأفعى المسيحية وزعمائها :

« بدون مساعدتنا لما ثبتوا يوماً واحداً ، أو يستمروا فى القتال بشجاعة ! ! » .

وبالمساعدة اليهودية بدأت الأفعى المسيحية مرحلة جديدة ، أطلق عليها اسم « حرب الجسرين » ، وأهداف هذه الحرب :

١ – تصفية الحليف السورى السابق .. أو على الأقل انهاكه مادياً ومعنوياً ، ورفع نسبة خسائره إلى أكبر حد ممكن ، حتى يتم إجباره على الجلاء عن لبنان ، وإتاحة الفرصة للمارون باعتبارهم القوة الأكبر لتحقيق أهدافهم الاستراتيجية ، وأولها إعلان دولة لبنان الحر ، دون مقاومة ، وثانيها بدء التحقيق الفعلى لخطة « عبرنة » المنطقة كلها وفقاً للخطة الصهيونية التى ساهم فيها الدكتور هنرى كيسنجر – اليهودى ووزير الخارجية الأمريكية السابق – بدور فعال وبارز .

٢ ـ القيام بمظاهرة دولية تؤكد الاضطهاد السورى (المسلم) للموارنة (المسيحين) وتصوير المسألة كحرب صليبية يشنها المسلمون المتعصبون ضد الوجود المسيحى فى لبنان الذى يمثل أقلية ضعيفة وسط بحر مائج من المسلمين ، وأن الذى يجرى منذ أربع سنوات فى لبنان هو مذبحة للمسيحيين ، وليس صراعاً من أجل السيطرة المسيحية على كل لبنان أو الاستقلال بجزء منه كبير على الأقل .

وقد تمركز عدد من السياسين المسيحيين المارون فى باريس مؤخراً ويقومون باستخدام وسائل الإعلام الفرنسية المختلفة لتعميق فكرة المذبحة التى يقوم بها السوريون المسلمون ضد الموارنة المسيحيين ، وإجبار الحكومة الفرنسية عن طريق الضغط الشعبى على اتخاذ موقف حازم تجاه سورية ، بل والحلول مكان قوات الردع العربية .. وقد قام ريمون إده وشارل حلو بقيادة مظاهرة اخترقت شوارع باريس تهتف ضد (المذبحة) التى تقوم بها سورية (المحتلة) ! ومن الغريب أن الرأى العام الفرنسى المسيحى على اختلاف اتجاهاته من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار قد اتفق على تأييد المسيحيين فى لبنان وإدانة سورية ! ومازال السياسيون المسيحيون المارون يتابعون مظاهرتهم الإعلامية الهاتفية سرا وعلنا فى باريس حتى كتابة هذه السطور .

٣ ـ تحقيق التعاون الفعال بين طرفين يعدان طليعة المخطط الصهيونى لعبرنة المنطقة ، وتبادل المنفعة على كافة المستويات ، وبخاصة الطرف اليهودى الذى يسعى كما عبرت «الصنداى تايمز» إلى عدد من الأهداف هى :

(أ) منع السوريين من السيطرة على منطقة نهر الليطانى .

(ب) استمرار فتح ميناء جونية — العاصمة المنتظرة للمارون — وعدم تمكين السوريين من إغلاقه لئلا تنقطع الإمدادات الإسرائيلية للمارون فيموتوا جوعاً وحرباً .

(جـ) تأمين الحدود الشمالية لإسرائيل حتى لا تقع تحت رحمة الوجود السورى أو الوجود الفلسطينى .

(د) منع التعاون السورى الفلسطينى لأن ذلك يهدد إسرائيل .

ويأخذ التعاون مداه بين الطرفين اليهودى والمارونى ، ليس فى مجال الإمداد بالأسلحة والعتاد والطعام — كما قدمنا — بل يأخذ مستوى آخر ، هو الدعوة من جانب إسرائيل لأمريكا والدول الغربية المسيحية للتدخل الفعال فى لبنان .. وإذا كانت هناك استجابة لهذه الدعوة من جانب هذه الدول ، فإن أمريكا قد طلبت من إسرائيل ضبط النفس حرصاً على اتفاقيتى كامب ديفيد — معسكر داود — ولا يعنى هذا بالطبع تعاطفاً مع السوريين ، فقد هددت أمريكا — سلفاً — ممثلة فى الكونجرس الأمريكى بقطع المساعدات الأمريكية عن سورية إذا استمرت فى التصدى للمؤامرة المارونية أو عدم التعامل مع المارون معاملة الند للند ! .

وقد أخذت « حرب الجسرين » شكلا صليبياً سافراً . أوشك « كميل شمعون » رأس الأفعى المارونية أن يحقق به حلمه القديم الذى بدأ

فى تنفيذه أواخر ولايته عام ١٩٥٨ . فالمناطق المسيحية التى يسيطر عليها أصبحت فيها « شارة الصليب » هى جواز المرور الذى يحفظ حياة المواطن اللبنانى فى « لبنان الحر » .

لقد أوشك « كميل شمعون » أكثر من مرة أن يعلن « دولة لبنان الحر » ، ولكن ظروفاً دولية متعددة كانت تقف فى طريقه .. بيد أنه مازال يتحين الفرصة لإعلان دولته وتحقيق الحلم الصليبى القديم الذى يتحدث عنه « بيار الجميل » بأنه مسألة طبيعية ، وأن الدولة الصليبية الجديدة لن تكون جسما غريباً أو مرفوضاً داخل الوطن العربى الإسلامى الكبير ! !

إن « سعد حداد » و « سامى شدياق » اللذين يحتلان الجنوب اللبنانى بقواتهما المارونية على اتصال دائم بالسيد « مناحم زيف دوف بيجين » رئيس الوزراء الإسرائيلى وأعضاء وزارته ممن يهمهم متابعة إنشاء الدولة الجديدة . وقد حاول « حداد » — الذى يحتفظ بعلاقات شخصية حميمة مع بيجين — أن يعلن قيام هذه الدولة أكثر من مرة ، وبدأ على الطريقة الإسرائيلية ، بتشكيل مجلس مسيحى إسلامى يحكم الدولة الجديدة ، وبمجرد إعلانها تعترف به إسرائيل ثم الدول المسيحية فالدول الشيوعية فبقية دول العالم .. وهكذا تصبح الدولة المارونية أمراً واقعاً — مثلها مثل إسرائيل التى ستقوم بالتحالف الرسمى معها وحمايتها — ولا يهم بعد ذلك بكاء العرب ، أو خطبهم النارية عبر الأثير وعلى صفحات الجرائد أو فوق منابر مؤتمرات القمة العربية ،

ومؤتمرات الأمم المتحدة والدول غير المنحازة والاشتراكية الدولية والسوق المشتركة .. إلخ !

إن « سعد حداد » يقوم الآن بعملية تصفية للمسلمين فى جنوب لبنان وذلك عن طريق تهجيرهم بعد فرض أتاوات لا يقدرون على دفعها ، وتحديد موعد لدخول القرى التابعة له يومى الإثنين والخميس من كل أسبوع . وقد قام بطبع بطاقات شخصية كتب على غلافها الخارجى « جمهورية لبنان الحر » ويبيعها بطريقة فرض الرسوم القانونية ، كما يقوم الآن بعمل إحصاء سكانى لمنطقة الجنوب التابعة له لتحقيق أهدافه فى بناء الدولة المارونية المنتظرة !

وفى الشمال اللبنانى وبيروت يقوم المارون بلعبة أخطر لتحقيق الحلم الجهنمى الذى يسعى رأس الأفعى « شمعون » لتحقيقه . فهم يقومون بعملية تحريض الضباط السوريين على خيانة الجيش السورى ، ويستخدمون لذلك كل الوسائل الحقيرة والمنحطة إغراء وتخويفاً .. وقد صرح ضابط سورى كبير لصحيفة المدينة السعودية (عدد ١٢ - ١٠ - ١٩٧٨) أنه تم القبض على ضباط سوريين كانوا موجودين فى (بناية رزق) ارتشوا من القوات اللبنانية المسيحية مقابل ألا يركزوا القصف على المناطق المسيحية التى استهدفتها المدفعية السورية فى قوات الردع العربية ، كما ذكر هذا الضابط أن ٩٠ ٪ من القذائف التى كانت تنطلق من هذه البناية ، كان فتيل المفجر فيها يسحب من

الصاروخ بحيث تنطلق القذيفة فتنفجر فى الجو دون أن تحدث أى تأثير. وهؤلاء الضباط من بلدة (دراكيش) فى سورية .

ويقوم المارون على المستوى الدبلوماسى الدولى بالمطالبة بتدويل القضية اللبنانية والمطالبة بقوات للأمم المتحدة بديلا عن قوات الردع العربية التى أصبحت فى نظرهم (وخاصة الجميل وشمعون) لا تمثل الحياد المطلوب (!) مع استمرار اتصالهم – فى نفس الوقت – مع إسرائيل والتنسيق السياسى والدبلوماسى معها بواسطة الرائد سعد حداد والنقيب سامى شدياق !

ولا يستطيع المرء أن يزعم أن موتمر « بيت الدين » الذى انعقد فى أكتوبر ٧٨ الماضى هو الحل الذى سيجنب لبنان المسلم الكارثة التى توشك على التحقق تماماً .. فما زال المارون يخدعون العرب جميعاً كما خدعوا سورية من قبل ، وجروها إلى محاربة المسلمين والفلسطينيين من قبل ، ودولا عربية أخرى دعمتهم تحت ستار مقاومة اليسار المتطرف أو الشيوعية (!!) ودفعت لهم من خزائنها الكثير من الملايين فضلا عن التأييد المعنوى والسياسى ، وكانت النتيجة أن فغرت الحية فاها ، وعضت بالفعل من رباها وغذاها ونماها .. وكانت الدول المخدوعة أول من ذاق السم المارونى !

لقد رفضت دول مؤتمر بيت الدين (لبنان – الكويت – السعودية الإمارات – السودان – سورية – قطر) تدويل القضية اللبنانية ، وقال

« سعود الفيصل » وزير الخارجية السعودى فى تصريح له عشية المؤتمر إذا كانت المساعدة الخارجية من شأنها الإسهام فى حل الأزمة اللبنانية ، فينبغى أن تكون عربية لأن تدويل الأزمة لن يؤدى إلا إلى تعقيد الموقف كما عبرت دول المؤتمر عن إدانتها الكاملة والصريحة لأى شكل من أشكال الاتصال المسيحى اللبنانى بإسرائيل العدو الأول والأكبر للعرب .

ثم انفض المؤتمر عن إقرار هدنة لوقف القتال فى « حرب الجسرين » وتدعيم السلطة الشرعية وتأييد قوات الردع العربية ، وتمديد فترة تواجدها فى لبنان حتى تتمكن السلطة الشرعية من فرض الأمن وحل الخلافات بين الأطراف المعنية .

ومع هذا فلا القتال توقف — حتى كتابة هذه السطور — ولا تمكنت السلطة الشرعية من فرض الأمن .. بل إن العميد « فيكتور خورى » قائد الجيش اللبنانى حين أمر باستدعاء النقيب المارونى المنشق « سمير الأشقر » ، لم تتمكن القوة التى ذهبت لاستدعائه من ذلك لأن قواته هاجمتها ، وجرى قتال أسفر عن مصرع سمير الأشقر وإصابة آخرين واعتقال رفاقه .. وكان رد الفعل المارونى ، هجوما مسلحا على منزل فؤاد بطرس وزير الخارجية لاغتياله ، ولكنه نجا من الموت الذى كان من نصيب بعض حراسه !

إن « شمعون » مصر على تنفيذ مخططه الجهنمى رغم أى شىء ، ورغم العرب جميعاً والدنيا كلها .. إنه لا يعبأ بشىء مهما كان ..

لقد قتل « طونى فرنجية » ابن حليفه سليمان فرنجية لأن الأخير وقف مع سورية ممتنا لجميلها عليه وعلى المارون .. وقوات « الأحرار » التابعة له ، قاتلت « الكتائب » رفاق السلاح والأهداف لأنهم توانوا عن تنفيذ الخطط المارونية أو اختلفوا معه فى التاكتيك .. !

صحيح أن هناك بعض المسيحيين الذين يعارضونه ويعارضون الكتائب ويؤيدون قوات الردع العربية . مثل منظمة المسيحيين الديمقراطيين التى يتزعمها « ميشال غريب » ، والذى قال فى التليفزيون الكندى صراحة : إن رجال الكتائب اللبنانيين يحاربون السوريين ويريدون طرد جميع العرب من لبنان من أجل إقامة دولة مارونية وأنهم أقلية انعزالية لا يشكلون إلا ٥ ٪ تقريباً من اللبنانيين المسيحيين . ومثل سليمان فرنجية الذى اتهم رفاق الأمس بالسعى للتقسيم صراحة ، ولكن هذه المعارضة وأمثالها لا تثمر شيئاً أمام الإصرار الجهنمى لشمعون والجميل والأباتى شربيل القس وسعيد عقل على تدمير لبنان وتصفيته من المسلمين وإقامة الدولة المسيحية المارونية .

والآن .. ما العمل . ؟

المسألة فى غاية الوضوح ، ولا تستلزم إلا حداً أدنى من العمل الجاد والمثمر — إن شاء الله — من الدول العربية المخدوعة — والدول العربية المتفرجة — والمسلمين اللبنانيين . فبالنسبة للدول العربية المخدوعة : عليها أن تصحح أخطاءها وتكفر عن خطاياها ، وعليها أن

تلقن الإجرام المارونى درساً لا ينساه ، وأن تفهمه أن الخداع مسألة لا يمكن أن تمر ببساطة .

أما الدول العربية المتفرجة ، فواجبها أن تأخذ بيد الدول المساندة وقوات الردع ، وإرغام شمعون والجميل على تسليم السلاح والعتاد وفك الحصار عن المناطق التى يسيطران عليها ومحاكمتهما أمام محكمة عربية كمجرمى حرب وخائنين لأمتهما ووطنهما . والاشتراك فى مائدة عربية مشتركة مستديرة لتحقيق الأمانى المشروعة وحل كل المشكلات .

وهؤلاء المسلمون فى لبنان ، رغم أن أغلبيتهم الساحقة — هكذا تقول الإحصائيات — تعيش الفقر والمسغبة ، فإن واجب القادرين والواعين منهم الاستفادة من الحرب ، ومن أساليب المجرمين المارون ، والأخذ بأسباب القوة المبنية على وحدة العقيدة والصف . وانتخاب قيادات جديدة تعرف ربها وإسلامها ، وواجبها تجاه مواطنيها .. لأن القادة الذين تسلطوا على مقدرات المسلمين ، وركزوا همهم الأكبر فى الإثراء والاغتناء ونسيان الواجب والإسلام والله ، قد ارتموا تماماً فى أحضان المارون . ! « نسو الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون » سورة الحشر : ١٩ .

ويا أيها المسلسل الحزين الدامى .. متى يظهر الفجر !؟

المقال قبل الأخير

المؤامرة تكشف عن وجهها القبيح

اعتراني اليأس في السنتين الماضيتين(١) مما يجرى على الساحة العربية والإسلامية ، وخبت حماستى لنشر هذا الكتاب ، فوضعته جانباً . وسلمت أمرى لله . فالأحداث تجرى بأسرع مما نظن ، وتتلاحق كوميض البرق ؛ مدهشة ودامية ! ووحده — المواطن المسلم في العالم العربى والإسلامى — يدفع الثمن ؛ موتاً وتشريداً وبؤساً . بينما تمتلىء مضابط الأمم المتحدة ومجلس الأمن وأنهار الصحف وسطور الكتب بكلام لا معنى له عن الحق والعدل والحرية .

وليس مهماً أن تصدر قرارات يوافق عليها العالم أجمع بإدانة إسرائيل والصليبية والشيوعية بل المهم حقاً ، هل استطاع المواطن

---

(١) بعد مبادرة السلام المصرية فى نوفمبر ١٩٧٧ تدهور الموقف العربى تدهوراً شنيعاً ، وعاش العرب مأساة لا تقل بشاعة عن مأساة يونية ١٩٦٧ . وكنت قد اعتزمت نشر الفصول الخمسة الأولى معاً فأرجأت النشر حتى كانت هذه الإضافات الحزينة والدامية .

المسلم فى لبنان وغير لبنان أن يحيا كأى مخلوق آخر على الأرض فى أمن وسلام ، مع الحد الأدنى من مقومات الحياة الإنسانية ؟

الإجابة بالنفى دائماً . . بل لقد أصبح من أمنيات البعض أن يتوقف العذاب والهوان والمذلة التى يلاقيها المسلم والمعاصر فى لبنان وغيره عند هذا الحد ! !

إن اليأس أصبح السمة العامة التى تلف حياة المسلمين على امتداد ساحات عريضة من عالم اليوم ، لأن الهمجية الصهيونية والصليبية والشيوعية تعربد فى كل مكان مدججة بالقوة ، والمكر ، والدهاء .. بينما قادة العالم الإسلامى يستسلمون فى ذل وانكسار وخيبة أمام هذه الهمجية ، وينسحبون من مواجهتها ، إيثاراً – كما يتصورون – للأمن والسلام والسكينة !

– حقيقة المؤامرة :

وما جرى ويجرى فى لبنان يؤكد بالضرورة أنه لابد من عمل شىء ما يوقف العربدة الدولية فى ديار الإسلام ، ويعطى الصحوة الإسلامية اندفاعتها المأمولة لتوديع اليأس إلى غير رجعة ، ومعانقة الأمل الغائب منذ سنين طويلة ، لنكون مع بدايات القرن الخامس عشر الهجرى ، بحق وحقيق ، خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله .

لقد تكشفت حقيقة المؤامرة فى خلال الأعوام الماضية ، وأسفرت

عن وجهها القبيح مؤخراً بلا حياء ولا خجل ، وأصبح « الأمر الواقع » سياسة معترفاً بها لدى الجميع ، حتى لدى قياداتنا الإسلامية فى مختلف بقاع العالم ، لأنهم لا يريدون ولا يرغبون فى تغيير « الأمر الواقع » تغييراً حقيقياً وجذرياً !

والعودة إلى أبرز الظواهر والملامح التى شكلت وتشكل الأحداث فى لبنان سوف تؤكد حقيقة المؤامرة وأبعادها التى لم تعد خافية على أحد . ذلك أن بعض الناس يجعلون من واجبهم التهوين مما يجرى ، والتقليل من شأنه ، والمغالطة فى تقديم الحقائق ، وتحليل الأحداث ، وكأنهم بطريقة أو بأخرى معنيون بخدمة المخطط الإجرامى الذى ينفذه تحالف الصهيونية والصليبية والشيوعية على أرض الإسلام والمسلمين ، ومنها بالطبع « دولة لبنان المسلمة » !

— المؤامرة تتمدد :

وقد عرف القراء فى المقال الأول(١) طبيعة التفكير الصهيونى الذى تبلور بعد حرب رمضان ١٣٩٤ هـ فى « عبرنة » المنطقة أو « بلقنتها » أو تقسيمها إلى دويلات تعتمد على العنصر الطائفى أو العرقى أو المذهبى ، وقد صمم هذا التصور اليهودى القبيح « هنرى كيسنجر » وزير الخارجية الأمريكى الأسبق ، الذى أشرف ومازال على تنفيذ « العبرنة » من أجل أن تبقى الدولة العبرية (إسرائيل) هى الدولة الأقوى فى العالم

---

(١) راجع ص ١٥ ، ١٦ من هذا الكتاب .

الإسلامى كله ، وذات الذراع الطويلة التى لايبعد عنها هدف بترولى أو عسكرى أو مدنى !

وقد وضح من خلال الأحداث فى الأعوام الماضية أن المؤامرة تمتد إلى أكثر من مكان فى الشرق الأوسط ، ومن بينه مصر . وكنا قد أمسكنا عن ذكر ما يراد بمصر المسلمة فى نطاق « العبرنة » لأسباب وظروف متعددة ، ولكن بعد أن تحدث رئيس الدولة المصرى(١) عن التصرفات التى حاول البعض أن يكسب بها امتيازات طائفية ، فإن من المؤكد أن قيام دولة مسيحية فى مصر كان وما زال هدفاً من أهداف الذين خططوا لعبرنة المنطقة(٢) . وكما جرى فى لبنان ، فإنه من الميسور أن يجرى على أرض مصر عمل مشابه ، يبدأ بتخزين السلاح والتدريب فى أماكن منعزلة ، وفى خارج مصر (فى استراليا مثلا كما فعلت الكتائب اللبنانية) ، يبقى بعد ذلك الاعتماد على الطيبة والسذاجة والتسامح الذى يصل إلى حد الغفلة لدى المسلمين ، وساعتها يكون الأمر الواقع هو الفيصل فى كل شىء !

---

(١) صحف ١٥ ، ١٦ ، ١٧ مايو ١٩٨٠ الصادرة بالقاهرة .

(٢) ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية فى نبأ عاجل من لبنان أن عشرين مصرياً من المرتزقة الأقباط الذين يعملون فى صفوف قوات حزب الوطنيين الأحرار برئاسة « كميل شمعون » قد لقوا مصرعهم ، وقد جاء مقتلهم فى خلال هجوم شنته قوات حزب الكتائب الذى يرأسه بيير الجميل ضد مقر حزب الوطنيين الأحرار فى صفدا على بعد ٢٥ كم شمال بيروت . وأضافت الوكالة الفرنسية أنه قد تم أسر عدد آخر من المصريين الأقباط فى نفس القطاع الذى يعد أحد معاقل الوطنيين الأحرار والذى سقط فى أيدى الكتائبيين . (راجع – مجلة الدعوة – القاهرة – عدد شوال ١٤٠٠ هـ) .

إن اليهود يدركون جيداً أن تمزيق مصر سوف يسهل لهم وللصليبية الدولية كثيراً من الأمور بالنسبة للعالم الإسلامى ، ومن ثم . فإنهم لن يكفوا عن التحريض لتمزيق مصر من الداخل ، وساعتها سيتاح لهم أن يحققوا حلمهم الجهنمى بإنشاء مملكة داود فى دلتا مصر . على اعتبار أن الدولة القبطية ستقام فى صعيدها .

– زيارة القدس :

لقد أعطت زيارة القدس التى قام بها الرئيس السادات فى نوفمبر ١٩٧٧ وما أعقبها من مباحثات واتفاقيات بين مصر والدولة اليهودية . الفرصة الملائمة لنمو الشراهة لدى اليهود والصليبيين فى تحقيق أهداف متعددة من بينها ؛

١ – إعلان توحيد مدينة القدس واعتبارها عاصمة لإسرائيل ولليهود فى الخارج إلى الأبد ، انطلاقاً من سياسة الأمر الواقع . وكل مسلم يعرف بالطبع ، ماذا تعنى القدس بالنسبة للإسلام والمسلمين .

٢ – التمهيد لضم مرتفعات الجولان السورية إلى الدولة اليهودية ضماً نهائياً ، وذلك بمنح الجنسية اليهودية للدروز .

٣ – احتلال الشريط الحدودى فى جنوب لبنان والسيطرة على مياه الليطانى ، واحتواء المنطقة التى يسيطر عليها الرائد المسيحى «سعد حداد» والتى يسميها دولة لبنان الحر ، بتقديم السلاح والعتاد والمئونة .

٤ – الاستمرار فى ضرب تجمعات الفلسطينيين فى لبنان حيثما كانت تمهيداً لتصفيتهم و القضاء التام عليهم .

٥ – الاتصال الصريح بالمسيحيين اللبنانيين وتشجيعهم على إعلان الدولة المسيحية فى لبنان والتى تضم معظم أجزائه وأفضلها .

– النصيريون والعبرنة :

والسؤال الآن : ما هو موقف الحكومة السورية بعد خمس سنوات من تلك الحرب الصليبية التى أججتها لصالح المارون ، وعلاقة هذا الموقف بما يجرى فى المنطقة ؟

الواقع يقول . إن السوريين الحكام سعداء للغاية بما يجرى ، فهم وفقاً لخطة « العبرنة » يسيرون قدما لتحقيق حلمهم القديم بإنشاء دولة علوية نصيرية . وقد تم لهم بالفعل السيطرة على كثير من مرافق الدولة السورية ، واهتموا بالمناطق التى تعيش فيها الأغلبية النصيرية اهتماماً كبيراً . وقاموا بعملية تطوير لها حتى إذا تم سلخها عن سورية الأم فإنها تكون المناطق الأفضل والأقوى خاصة حين يضاف إليها أجزاء من لبنان ، وبالتالى تكون دولة قوية تحقق طموحات النصيريين .

وما يجرى الآن فى سورية من صراع دموى رهيب بين الطائفة النصيرية وبين المسلمين فى سورية يؤكد أن النصيريين بقيادة « حافظ الأسد » جادون فى تحقيق فكرتهم بإقامة دولتهم الطائفية ، وكل القرائن تدل على أن إعلان ذلك مرهون بإعلان قيام الدولة

المارونية المسيحية ، وإن كان من الممكن أن يتم الأمر قبل هذا فيما لو حقق المجاهدون المسلمون فى سورية بعض الانتصارات الجزئية على حكومة النصيريين بقيادة الأسد ، حيث لا يكون أمامهم مفر من إعلان استقلالهم بالمناطق العلوية !

إن التواطؤ الواضح بين النصيريين والمارون يتأكد بمرور الأيام ، وإن كان المارون قد استطاعوا بصورة أو بأخرى خديعة النصيريين ، والانقلاب عليهم بعد أن حققوا لهم كثيراً من أمانيهم ، وقد تمخض الأمر عن التعامل بين شريكين بعد أن كان التعامل بين تابع (المارون) ومتبوع (النصيريين) !(1)

- الضحية المستديمة :

ويرى المراقبون أن الضحية فى كل هذه الظروف هم الفلسطينيون ..

وهؤلاء يعانون من أمور عديدة ، ويقفون موقفاً شائكاً . فهم طرف فى كل ما يجرى على أرض لبنان ، ويحدث فوقها ، من صراعات سياسية وعسكرية ، سواء كانت هذه الصراعات ذات صبغة محلية أو خارجية . وهم أنفسهم يعانون من تمزقات داخلية كلفتهم الكثير ، وجعلت من وجود المقاومة الفعالة أمراً غير يقيني وغير قائم فى هذه الآونة على الأقل .

لقد قام حكام سورية النصيريون بإغلاق الحدود السورية الإسرائيلية

---

(1) فى المقال السادس تفصيل لهذه النقطة - راجع ص ١٣٢ .

فى وجه الفلسطينيين تماماً ، ثم فرضت عليهم منظمة فلسطينية تدين بالولاء الكامل لحزب البعث النصيرى قبل الولاء لفلسطين ، ومارست السلطة البعثية النصيرية أبشع أنواع التصفية الجسدية للفلسطينيين فى المعارك الضارية التى شهدها لبنان فى حرب السنتين (خاصة فى : تل الزعتر وضبية والنبعة وجسر الباشا) . ولم يبق للفلسطينيين فى سورية إلا فرصة معنوية ليست بذات قيمة ، وهى انعقاد مؤتمراتهم فى دمشق ، واستخدام موجة إذاعة لاتستطيع الخروج عن سياسة حزب البعث .

أما المارون ، فإنهم ما زالوا فى غمرة الأكاذيب التى يطلقونها يدعون أن الفلسطينيين هم السبب فى كل ما يجرى على أرض لبنان ، وأن حل مشكلة لبنان لن يتأتى إلا بإخراجهم نهائياً من لبنان وتوزيعهم على الدول العربية ، ويتساءلون فى خبث : لماذا يتحمل لبنان وحده بقاءهم على أرضه ؟

ولو قرأنا تصريحاً لأحدهم فسوف يزداد تعجبنا حين يعتبرهم صاحب التصريح العدو « المحتل » لأرض لبنان ! يقول « أبو رز » أو « المعتصم » قائد حراس الأرز فى إجابة له حول سؤال عن الجيش اللبنانى ودخوله إلى الجنوب :

« ليس على الجيش اللبنانى أن يستأذن أحداً إذا ما قررت السلطة إرساله إلى الجنوب فمهمته هناك مهمة تحريرية ، **وعدوه فى الجنوب هو الفلسطينى** ، وليس من المعقول أن يتم تنسيق أو تفاهم بين المحرر والمحتل (! !) .

ولا يمكن أن تسوى الأوضاع فى الجنوب إلا إذا حزم الحكم اللبنانى أمره (!) وقرر تحرير الجنوب بنفسه ، وعند ذلك ستكون قوى المقاومة اللبنانية جميعاً (!) فى صفوف الجيش اللبنانى تشق أمام السلطة طريق الجنوب وتمكنها من بسط سيطرتها وسيادتها على كامل التراب اللبنانى (! !) (الأسبوع العربى – بيروت – ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٩) .

ومهما يكن من شىء ، فإن الموقف الحرج الذى يعيشه الفلسطينيون على أرض لبنان وفى العالم العربى ، إنما يرجع بالدرجة الأولى إلى سلوكهم أمام أنفسهم وأمام العالم . لقد تمنينا لهم أن يقيموا عرشاً فلسطينياً(١) ولكن الفرقة ما زالت تسيطر عليهم . وما زال التشرذم يفعل بهم الأعاجيب ، وأعتقد أنه يتوجب على كبرى منظماتهم « فتح » أن تقوم بدور أكثر فعالية فى تصفية المنظمات الشيوعية والمنظمات الموالية للأنظمة العربية ، وصهر جميع المقاتلين فى بوتقة واحدة ، تسيطر عليها قيادة واحدة ، وتسعى قدماً إلى استعادة مجدها الأول الذى أعقب ظهورها فى عام ١٩٦٥ ، وأن تستلهم التصور الإسلامى فى جهادها ، وأن تكف عن الكلام ، **ليكون الفعل** هو التحدث الرسمى باسمها على **أرض فلسطين فقط** . وحينئذ سوف يعرف العالم أن الأمور جد وليست هزلاً .

إن المارون بإصرارهم على إخراج الفلسطينيين من لبنان ، يهدفون

---

(١) راجع ص ١١٤ .

إلى أن تتاح لهم الفرصة فى الانفراد بالكيان اللبنانى كله ، واستثمار عجز المسلمين الذين يعيشون بلا قيادات فعالة ؛ فى القضاء على ملامح الإسلام والعروبة والقيم المضيئة بمساعدة الدولة العبرية التى يعتبرونها حاميتهم وحليفتهم وامتداداً طبيعياً لهم ، أو هم يعتبرون أنفسهم امتداداً طبيعياً لها . وقد صرح زعيمهم كميل شمعون – رأس الأفعى المارونية – للصحفى « جى سيتون » مندوب « نوفيل ابرزفاتور » الفرنسية قائلا : « يوجد فى شرقنا هذا فئتان من المسيحيين . المسيحيون الأحرار الذين لم يقبلوا أبداً بأن تكون لأحد سلطة عليهم ، والمسيحيون الآخرون الذين خضعوا للخلفاء المسلمين . وأدوا الجزية فى سبيل البقاء على قيد الحياة ، وهؤلاء الذين يرفضون الحماية الإسرائيلية جزء من هذه الفئة الثانية ، فهم ليسوا من العرق اللبنانى . وإننى أعتقد بأننا – على الأقل – يهود مثلهم » (نقلا عن الجمهورية – القاهرة – ٦ - ٨ - ١٩٧٨) .

– المارون بين الخيانة . . والشرف :

ولا شك أن هذا الكلام من زعيم الجبهة اللبنانية المارونية . بكل ما فيه من وقاحة وكذب ، يمثل التصور الحقيقى والاستراتيجى للمارون الذين يطمحون إلى لعب دورهم الخيانى الذى قاموا به من قبل خلال الحروب الصليبية من تحالف مع الصليبيين القادمين من أوربة بزعامة « بطرس الحافى » ، والنصيريين الذين يسكنون بالقرب منهم فى الشام .

ولا شك أيضاً ، أن هنالك مسيحيين شرفاء يعتبرون الإسلام هو

حاميهم الحقيقى ، لأنه دين السماحة الذى لا يعرف الحقد ولا التعصب ، وهم حين قبلوا الانضواء تحت الراية الإسلامية فقد كانوا صادقين مع طبيعتهم الإنسانية وفطرتهم البشرية ، وقد استطاعوا على كل حال أن يحققوا ذاتهم ووجودهم وطموحهم الإنسانى فى رحاب الإسلام وتحت الحماية الإسلامية .

ومن المؤسف أن العالم العربى كله ، كان يعلق آمالا كبيرة على الرئيس « إلياس سركيس » فى إعادة المارون إلى جادة الصواب ، ولكنه قام بدور مغاير تماماً حين ميع المواقف ، ولم يمارس سلطاته الشرعية بحجج واهية ، وأتاح للمارون أن يكرسوا تقسيم لبنان ، وأن يبسطوا نفوذهم على كثير من المواقع ؛ دون أن يأخذ موقفاً حازماً وحاسماً ، رغم أن الدول العربية قد أعطته كثيراً من الإمكانات المادية والمعنوية التى تساعده على تحقيق واستتباب الأمن . ويبدو أن الصورة التى ظهر بها فى بداية حكمه كانت صورة خادعة تماماً ، إذ جرت الرياح بما لاتشتهى السفن ، وضاعت ثقة العرب فيه ضياعاً كاملا ، وها هى مدة ولايته تقترب من نهايتها ، وسوف يترك لبنان أسوأ من ذى قبل .

— رئيس وزراء بلا سلطة :

ولقد بدا واضحاً أن موقف الدكتور سليم الحص رئيس الوزراء اللبنانى الذى أعلن الاستقالة فى مرات عديدة ، يرجع بالدرجة الأولى إلى خلافه مع الرئيس سركيس حول مسألة الحزم والحسم . وقد

اعترف الدكتور الحص فى أكثر من مرة ، أن هناك خلافاً بينه وبين الرئيس ، رغم أن الحص يعد من الموالين للمارون بصورة أو بأخرى ، على الأقل فإن زوجته السيدة « ليلى فرعون » من أكبر العائلات المارونية فى لبنان !

على كل . فإن الدكتور الحص ، لم يملك فى شهر يولية ١٩٨٠ ، إلا أن يفاجىء العالم ولأول مرة بالاستقالة النهائية . ولسبب واضح وبسيط جداً ، هو : أن المارون بقيادة « الكتائب » ماضون فى تقسيم لبنان ، وإن إعلان التقسيم رسمياً بات وشيكاً . حيث قامت «الكتائب» بإنشاء إدارات وتنظيمات خاصة فى المناطق التى يسيطر عليها المارون . ولم يبق إلا تشكيل وزارة مارونية لأول مرة فى لبنـــان بزعامة « بيير الجميل » مؤسس حزب الكتائب .

ومن أطرف ما يروى فى هذه المأساة أن زوجة الدكتور الحص قد وقفت بحزم ضد محاولات إقناع زوجها بالعدول عن الاستقالة . لأنه — كما تقول — قد استنفد صحياً فى سنوات حكمه الثلاث . وقالت إن الرعب يتملكها عندما تتذكر ما أصابه فى نوبة الربو فجر يوم الاثنين (٩ - ٦ - ١٩٨٠) وكيف أنها نقلته إلى الجامعة الأمريكية نصف مختنق واضطرت لهزه بعنف حتى يظل قادراً على التقاط أنفاسه ، ثم كيف أن المستشفى عانت من علاجه وتحكمت بالحد الأدنى من صحته عبر الآلات الحديثة التى كثيراً ما أشارت إلى هبوط ضغطه قبل أن يتمكن من الشفاء بعد أسبوع .

والحص يقول إن صحته الجسدية يمكن أن تكون مقياساً لحالة البلاد . ويروى أنه عندما دخل الحكم كان يزن ٨٣ كجم ، ولكنه عندما ذهب إلى قمة تونس منذ شهور قليلة لبحث الوضع فى الجنوب ولمس دقة الموقف هناك هبط وزنه إلى ٦١ كجم ، ثم ارتفع إلى ٦٣ كجم بعد أن تم الاتفاق فى تونس بين الأطراف المعنية ! (الحوادث — لندن — ٢٠ يونيو ١٩٨٠) .

لقد حاول الحص رغم هذه الطرافة أن يتعامل مع الأحداث بمنطق علمانى تكنوقراطى ، ولكن الرئيس المارونى كان أكثر وفاء لمارونيته من الحرص على مستقبل لبنان الموحد ، وأصر أن تكون السلطة كلها فى يده ، ولم ينفذ أى شرط من الشروط التى وضعها « الحص » لممارسة دوره فى إقامة نظام الدولة الموحدة على أرض لبنان .

وسواء نجحت المحاولات المتعددة فى إقناع الحص بالعدول عن استقالته النهائية أو لم تنجح(١) ، فإن الطرف الآخر — أى المارون — ماض فى خطته الجهنمية بتقسيم لبنان والاستئثار بكل خيراته وثرواته ومعظم أرضه !

لقد تحدثوا كثيراً عن التقسيم والفيدرالية واللامركزية . وهذا الحديث فى النهاية يصب فى معين الفكرة المسماة بعبرنة المنطقة والتى

---

(١) تم تكليف رئيس الوزراء السابق تقى الدين الصلح بتشكيل الوزارة اللبنانية الجديدة ، وكل الدلائل حتى كتابة هذه السطور (أغسطس ١٩٨٠) تشير إلى إخفاقه المحقق فى هذا المجال .

تحققها المارون بمساعدة إسرائيل والنصيريين وأطراف أخرى بصورة جادة وفعالة . .

ــ التاكتيك المارونى :

إن المارون يتبعون فى تاكتيكهم نفس التاكتيك الذى اتبعه اليهود فى إقامة إسرائيل على أرض فلسطين ، المستعمرات ، والمليشيات أو المنظمات العسكرية ، الدعاوى المغلوطة لتحويل الأنظار عن هدفهم الاستراتيجى ، تجنيد الرأى العام الصليبى فى أوربة وأمريكا لصالحهم . الضرب بمنتهى القسوة العسكرية كلما لاحت الفرصة المناسبة ، خداع العرب واستغلال تمزقهم بل وأموالهم ، ثم فرض سياسة الأمر الواقع فى نهاية الأمر . .

ــ الأمر الواقع . . والعجز العربى :

وقد أقر العرب بصورة أو بأخرى سياسة الأمر الواقع ، وقبلوا بها عندما وافقوا على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ عقب هزيمة يونية ١٩٦٧ . إذ ينص هذا القرار فى صلبه على حق جميع دول المنطقة (الشرق الأوسط) فى العيش بسلام داخل حدود آمنة . ومن بين هذه الدول بالطبع (إسرائيل) .

وأيضاً فإن توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل فى مارس ١٩٧٩ بواشنطن ، وقبلها اتفاق كامب ديفيد بالولايات المتحدة الأمريكية ، قد أقر بوجود إسرائيل وقبل بهذا الوجود من أجل ما سمى بالسلام ، أو تحقيق السلام فى الشرق الأوسط .

ومن هذا المنطلق اعتنق المارون سياسة الأمر الواقع أيضاً ، إذ أنها توصل لا محالة إلى الأهداف المطلوبة فى ظل العجز العربى الراهن .

ولا يستطيع المراقب أن ينكر عجز العرب عن إنجاز مهمة ناجحة سياسياً أو عسكرياً فى خلال العقود الماضية ، باستثناء حرب رمضان ١٣٩٣ ﻫ . فقد ضاعت فلسطين عام ١٩٤٨ ، واحتلت سيناء مرتين فى عامى ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وضاعت الجولان فى ١٩٦٧ . ثم فرضت إسرائيل دولياً ورسمياً بعد زيارة القدس التى قام بها الرئيس المصرى فى نوفمبر ١٩٧٧ .

ورغم الإنجاز الذى تم فى حرب رمضان ١٣٩٣ ﻫ بتحقيق هزيمة جزئية لإسرائيل ، وتوحيد الموقف العربى سياسياً عقب هذه الحرب ؛ فإن اليهود بمساندة أمريكا مالبثوا أن أفرغوا هذا الإنجاز من محتواه الرائع وقام اليهودى القبيح « هنرى كيسنجر » بلعبته القذرة فيما عرف باسم « عبرنة » المنطقة ، والسعى إلى بث الفرقة بين العرب والتمهيد للمصالحة بينهم وبين إسرائيل ، وكان لبنان أول تنفيذ عملى للعبرنة ، والبقية تأتى .

ومع أن العرب بل والمسلمين حاولوا فى كثير من المؤتمرات واللقاءات الجماعية والثنائية وغيرها أن يتفقوا على عمل شىء ما لإنقاذ لبنان ، والوقوف فى وجه المؤامرة المعادية للإسلام والمسلمين ، إلا أن شيئاً لم يتحقق ، باستثناء البيانات الطويلة والقرارات العديدة ، وكلها لم تتجاوز الورق الذى سودت صفحاته ، بينما المتآمرون يواصلون تنفيذ خططهم بكل عزيمة وإخلاص .

والأدهى من ذلك أن النيران اشتعلت على الحدود بين الأقطار العربية والإسلامية بشدة لاتبررها الأسباب المعلنة للصراع . ومن أقصى مكان إسلامى إلى أدناه تجد السلاح مرفوعاً وجريئاً بيد المسلم — أو من يفترض فيه أن يكون كذلك — ضد أخيه المسلم . ولنا أن نذكر بما جرى ويجرى بين المغرب والجزائر ، والجزائر وليبيا ، وليبيا وتونس ، وليبيا ومصر ، واليمن الشمالى وعدن ، وعمان وعدن ، والعراق وإيران . . . إلخ .

وفى حمأة هذا الصراع الدامى يمارس المارون وغيرهم من المتآمرين على الأمة الإسلامية هواياتهم المفضلة فى إنشاء أوطان جديدة . واستنزاف الدم الإسلامى بمنتهى البساطة واليسر ! !

— إيران . . الشيعة . . موسى الصدر :

ولا ينكر أحد أن نجاح الثورة الإيرانية وإسقاط الحكم البهلوى الإمبراطورى ، قد أنعش الأمل لدى المسلمين فى اقتحام العقبات التى تعترض مسيرة وجودهم واستقلالهم ، ولكن هذا الأمل يتلاشى أمام القهر والعسف والعذاب الذى تمارسه الأنظمة الموالية لغير الله . وقد حاولت الثورة الإيرانية أن تقوم بدور ما للوقوف بجانب المسلمين فى لبنان ، ولكنها أخفقت لأسباب عديدة ، أهمها عدم الاستقرار الداخلى تماماً ، والحروب الطائفية والعرقية التى تشعلها القوى الكبرى لتمزيق إيران نفسها ، فضلا عن الظروف الصعبة التى تحياها هذه الثورة بعد أن قامت الولايات المتحدة والدول الأوربية بتجميد الأرصدة

الإيرانية وحصارها اقتصادياً بسبب مسألة السفارة الأمريكية فى إيران واحتجاز أفرادها بواسطة الطلبة الإيرانيين كرهائن منذ نوفمبر ١٩٧٩ وحتى الآن (أغسطس ١٩٨٠) طلباً لتسليم الشاه السابق الذى توفى مؤخراً بالقاهرة . أضف إلى ذلك العبء الذى فرضه احتلال الروس لأفغانستان على إيران الثورة ، حيث تقع حدود مشتركة يمكن أن تتعرض لغزو روسى فى أية لحظة !

وعلى كل ، فإن إيران معنية بما يجرى فى لبنان حيث أن أغلبيته الإسلامية من أتباع المذهب الشيعى ، وقد حاولت الثورة الإيرانية فى بداية الأمر أن ترسل متطوعين إيرانيين للقتال بجوار المقاومة الفلسطينية ، وبالتالى بجوار المسلمين فى لبنان ، ولكن ذلك لقى استنكاراً من القوى الصليبية الدولية . وأعيد المتطوعون ثانية إلى إيران .

وقد اهتم الإيرانيون منذ نجاح الثورة الإسلامية فى إيران بقضية اختفاء الإمام « موسى الصدر » فى أثناء زيارة لليبيا ، حيث يمثل اختفاؤه حدثاً هاماً فى حياة الشيعة بوجه عام ، والمسلمين الشيعة فى لبنان بوجه خاص . وحتى الآن تتراوح الأنباء بين الإعلان عن مقتل الإمام الصدر وبقائه على قيد الحياة ، وما زالت الحقيقة غائبة ، ولا يعلمها إلا الله .

- اختفاء . . خطف . . اغتيال :

ومن الجدير بالذكر أن عملية الاختفاء والاختطاف والاغتيال فى لبنان أصبحت ظاهرة عامة فى السنتين الأخيرتين ، وفى كل الحالات

يكون المختفي أو المختطف أو المغتال طرفاً في القضية اللبنانية ، وغالباً ما توجه أصبع الاتهام إلى النظام البعثي النصيري في سورية ، أو المارون الكتائبيين .

فبعد اغتيال الزعيم الدرزي كمال جنبلاط وشقيقته في خلال حرب السنتين ، قام حزب الكتائب اللبناني باغتيال « طوني فرنجية » نجل الرئيس سليمان فرنجية في منزله بمدينة أهدن بشمال لبنان ، وقتلته هو وزوجته وطفلته البالغة من العمر ثلاث سنوات ، والسائق والخادمة . (صحف ١٤-٦-٧٨) .

وقد اغتيل في فرنسا وبيروت بعض زعماء المقاومة الفلسطينية ، ففي « مونت كارلو » بفرنسا اغتيل « زهير محسن » زعيم منظمة الصاعقة الموالية للبعث النصيري في سورية ، كما اغتيل في « بيروت » « علي حسن سلامة » مسئول المخابرات بمنظمة التحرير الفلسطينية وأبرز رجال « فتح » ، ومما يذكر أنه كان متزوجاً من فتاة مارونية تمارس التمثيل والرقص حصلت على لقب ملكة جمال العالم منذ سنوات اسمها — « جورجينا رزق » .

وكانت أبشع عمليات الاختطاف والاغتيال ، تلك العملية التي جرت للصحفي المشهور « سليم اللوزي » صاحب مجلة « الحوادث » اللبنانية ، في فبراير ١٩٨٠ ، لقد اختطف على يد مسلحين وهو في طريقه إلى مطار بيروت ، ثم تعرض لأبشع عملية تعذيب بترت فيها أطرافه ، ثم قتل برصاصات شوهت وجهه وجسده ، وألقي في مكان بعيد عن العاصمة حيث اكتشفه أحد الرعاة ، وقد لقي الأخير مصرعه بعد

شهور أيضاً ! ومما يذكر أن شقيق « اللوزى » ويدعى « مصطفى اللوزى » قد اغتيل فى طرابلس مسقط رأسه قبل أخيه بسنة تقريباً .

وقد تعرض الداعية الإسلامى « فتحى يكن » وهو من زعماء المسلمين السنة فى لبنان إلى عملية اختطاف فى الشتاء الماضى اتهم فيها نظام البعث النصيرى فى سورية . ويمثل فتحى يكن المقاومة الإسلامية الحقيقية التى تنطلق من تصور إسلامى صحيح ، وإن كانت قدرته ومن معه تقل بكثير عن أولئك الذين يرفعون شعارات علمانية مادية مثل الاشتراكيين والناصريين والمرابطين . . . إلخ .

وآخر عمليات الاختطاف حتى كتابة هذه السطور كانت موجهة إلى مدير التليفزيون اللبنانى « شارل رزق » وهو مارونى متهم بالتعاطف مع العروبة وقد أعيد إلى بيته بعد تدخل رئيس الجمهورية — « الياس سركيس » ، وقيل إن الغرض من الاختطاف كان إرغام المختطف على بث برامج لحزب الكتائب من خلال تليفزيون الدولة الرسمى . ولكنه قدم استقالته بعد عودته من الخطف .

أما آخر عمليات الاغتيال . فكانت اغتيال الأستاذ « رياض طه » نقيب الصحفيين فى لبنان ، يوم ٢٣ يولية ١٩٨٠ ، بعد عملية اختطاف « شارل رزق » مدير التليفزيون اللبنانى بساعات . وقد كان رياض طه فى طريقه بالسيارة للقاء سليم الحص رئيس الوزراء اللبنانى ، فاقتربت منه سيارة أخرى وأطلق مسلحون مجهولون كانوا بداخلها النيران عليه وعلى سائقه فقتلا على الفور ، وتمكنوا من الفرار .

ويرى المراقبون أن عمليات الاغتيال والاختطاف والاختفاء تؤدى إلى هدف واحد هو إزاحة الشخصيات التى تتعاطف مع بقاء لبنان الموحد ، والمقاومة الفلسطينية القوية ، تمهيداً لإعلان الدولة الانفصالية من جانب المارون وقيادتهم الممثلة فى الكتائب .

بل إن الأمر وصل بالكتائب من أجل قيام الدولة الانفصالية إلى محق ميليشيات « الأحرار الوطنيين » التابعة لكميل شمعون زعيم الجبهة المارونية فى يولية الماضى من خلال معارك دموية لقى فيها أكثر من ٥٣٠ شخصاً مصرعهم . (الأهرام ٢٤ - ٧ - ١٩٨٠) .

- الحرب الصليبية العاشرة . . والجولة الأخيرة :

أن الأحداث تومىء إلى أن الدولة المارونية آتية بلا ريب طالما ظلت الظروف الراهنة على ما هى عليه . وخاصة فى العالم العربى ، وأن ذلك سيكون بداية لسفك المزيد من الدماء فى حروب أهلية ضارية تهيىء لإقامة الدويلات الطائفية والعرقية وفقاً لمخطط « العبرنة » . وإذا كان الأمل يحدونا فى انتصار الثورة الإسلامية فى سورية ، فإن ذلك يرجع إلى الرغبة فى رفع الظلم عن إخوتنا المسلمين المحرومين فى لبنان المسلم ، وردع الطغاة الخونة من المارون وحلفائهم النصيريين ، والاستعداد لخوض الجولة الأخيرة فى الحرب الصليبية العاشرة ضد اليهود لتخليص الأرض الإسلامية والقدس العتيقة من قبضتهم بإذن الله .

إن انكشاف المؤامرة بوجهها القبيح . وتتابع المسلسل الدامى يلقى علينا كمسلمين عبئاً ثقيلا لنثبت فعلا أننا نستحق هذا الدين ، وجديرون

بحمل صفة المسلمين ، ولا يتم ذلك على كل حال إلا بإعلان الجهاد المقدس واستمراره ، تنفيذاً للأمر الإلهى **« وجاهدوا فى الله حق جهاده »** وحتى يمكن كتابة المقال الأخير فى هذه الحرب الصليبية العاشرة التى لم تنته بعد ؛ فإنه يتحتم علينا دائماً أن نذكر قول الله تعالى :

« وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً ، وعذبناها عذاباً نكرا ، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً . أعد الله لهم عذاباً شديداً ، فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً » .

صدق الله العظيم

(الطلاق : ٨ - ١٠)

القاهرة ٢٩ من رمضان المعظم ١٤٠٠ هـ .

١٠ من أغسطس ١٩٨٠ م .

• • •

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة

الكتاب

يهدف المخطط الصليبي الصهيوني الماركسي إلى تمزيق منطقة الشرق الأوسط أولا باعتبارها قلب الإسلام ومهبط الوحي ، ليسهل بعدئذ التهام العالم الإسلامي جميعه . والمأساة الدامية التي شهدها لبنان العربي المسلم جزء من هذا المخطط الذي شاركت فيه قوى الإجرام الدولية لتركيع الدول الإسلامية وعلى رأسها مصر لقبول « إسرائيل » والاعتراف بها وتطبيع العلاقات معها بحكم الأمر الواقع ، وعلى نفس المنوال يتم القبول والاعتراف والتطبيع مع دويلات أخرى جديدة للمارون والدروز والنصيريين والأكراد والأقباط . . وغيرهم . .

وعلى صفحات هذا الكتاب يطالع القارىء تفصيلات المخطط الإجرامي ، وكيفية التنفيذ العملي لأساليب الصليبية والصهيونية والشيوعية في منطقتنا العربية الإسلامية .

لقد استأثر المارون في لبنان بكل شيء : القوة والثروة والتعليم والخدمات رغم أنهم لايتجاوزون ١٧٪ من عدد سكان لبنان ، وحين تحركت الأغلبية الإسلامية المحرومة والمقهورة لتطالب بحقها في خيرات لبنان بما يضمن لها الحد الأدنى من الحياة الإنسانية ؛ أبت الأقلية المارونية على الأغلبية الإسلامية هذا الحق ، واستخدمت كافة الأساليب الإجرامية وفقاً للمخطط الدولي ، وبالخداع والمكر والدهاء . واستطاع المارون السيطرة على أغلب لبنان تمهيداً لإقامة دولتهم الانفصالية على غرار دولة القتلة اليهود في فلسطين ! !

وفي هذا الكتاب متابعة قائمة على الوقائع والوثائق من خلال تصور إسلامي يتجاوز الواقع الراهن إلى المستقبل القادم ، لعل وعسى أن يكون صيحة تنبيه وتحذير لأمتنا في مسيرتها الحزينة ، وعنائها الطويل !

دار الاعتصام

٨٠ قرشا